

## تفسير سورة الصافات

مكية في قول الجميع<sup>(١)</sup>

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هذه قراءة أكثر القراء. وقرأ حمزة بالإدغام فيهن<sup>(٢)</sup>. وهذه القراءة التي نقر منها أحمد بن حنبل لما سمعها.

النحاس<sup>(٣)</sup>: وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهن: أن التاء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الذال، ولا من أخواتهن، وإنما أختها الطاء والذال، وأخت الزاي الصاد والسين، وأخت الذال الطاء والتاء.

والجهة الثانية: أن التاء في كلمة، وما بعدها في كلمة أخرى.

والجهة الثالثة: أنك إذا أدغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين، وإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة؛ نحو: دابة، وشابّة. ومجازاً قراءة حمزة أن التاء قريبة المخرج من هذه الحروف.

«وَالصَّافَّاتِ» قَسَمٌ، الواو بدل من الباء. والمعنى: برّب الصّافّات، و«الزّاجرات» عطف عليه. ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جواب القسم. وأجاز الكسائي فتح إن في القسم<sup>(٤)</sup>.

(١) زاد المسير ٤٤/٧.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو في رواية السوسي. السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٥.

(٣) في إعراب القرآن ٤٠٩/٣، وما قبله منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤١٠/٣.

والمراد بـ «الصَّافَاتِ» وما بعدها إلى قوله: «فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة<sup>(١)</sup>، تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة<sup>(٢)</sup>. وقيل: تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد. وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي ملوكهم صفوفًا. وقال الحسن: «صَفًا» لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هي الطير، دليله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْعَهُمْ صَفَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> [الملك: ١٩].

والصف ترتيب الجمع على خط، كالصف في الصلاة. «وَالصَّافَاتِ» جمع الجمع؛ يقال: جماعة صافة، ثم يجمع صافات<sup>(٥)</sup>. وقيل: «الصافات» جماعة الناس المؤمنين إذا قاموا صفًا في الصلاة أو في الجهاد؛ ذكره القشيري<sup>(٦)</sup>.

«فَالرَّاجِرَاتِ» الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود ومسروق وغيرهم على ما ذكرناه. إما لأنها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي. وإما لأنها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح. وقال قتادة: هي زواجر القرآن.

«فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» الملائكة، تقرأ كتاب الله تعالى؛ قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي<sup>(٧)</sup>.

(١) النكت والعيون ٣٦/٥، وزاد المسير ٤٤/٧.

(٢) نزاهة القلوب للسجستاني ص ٢٩٩.

(٣) النكت والعيون ٣٦/٥.

(٤) تفسير البغوي ٢٢/٤، وزاد المسير ٤٤/٧.

(٥) تفسير الطبري ٤٩٢/١٩ بنحوه.

(٦) وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٦/٥.

(٧) النكت والعيون ٣٧/٥. وقول قتادة أخرجه الطبري ٤٩٤/١٩.

وقيل: المراد جبريلُ وحده، فذُكِرَ بلفظ الجمع؛ لأنه كبيرُ الملائكة، فلا يخلو من جنود وأتباع.

وقال قتادة: المراد: كلُّ من تلا ذِكْرَ الله تعالى وكُتِبَهُ<sup>(١)</sup>. وقيل: هي آياتُ القرآن، وَصَفَهَا بالتلاوة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النمل: ٧٦]. ويجوز أن يقال لآيات القرآن: تاليات؛ لأن بعضَ الحروف يتبع بعضاً؛ ذكره القشيري.

وذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>: أن المراد بـ «التَّالِيَّاتِ» الأنبياءُ يتلون الذكر على أممهم.

فإن قيل: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفةً في الصفات؟ قيل له: إما أن تدلَّ على ترتب معانيها في الوجود، كقوله:

يَالْهَيْفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الصِّصَابِحِ فَالْغَانِمِ فَالْآيِبِ<sup>(٣)</sup>

كأنه قال: الذي صَبَّحَ فَعَنِمَ فآبَ. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خُذِ الأفضَلَ فالأكمل، واعْمَلِ الأحسنَ فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك، كقوله: رَجِمَ الله المُحلِّقينَ فالمقصرين. فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساقُ أمرُ الفاءِ العاطفةِ في الصفاتِ قاله الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

«إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» جوابُ القسم. قال مقاتل: وذلك أن الكفار بمكة قالوا: ﴿أَجْمَلُ الأَلَمَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥] وكيف يَسْعُ هذا الخَلْقَ فردِّ إله<sup>(٥)</sup>؟! فأقسم الله بهؤلاء تشريفاً، ونزلت الآية.

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٦٥، والكشاف ٣/٣٣٣.

(٢) في النكت والعيون ٥/٣٧.

(٣) البيت لابن زَيَّابَةَ التيمي، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/١٤٧ وأمالى ابن الشجري ٢/٥٠٨، وخزانة الأدب ٥/١٠٧. وزَيَّابَةُ اسم أم الشاعر، فيما قاله البغدادي.

(٤) في الكشاف ٣/٣٣٤.

(٥) ذكره بنحوه البغوي في تفسيره ٤/٢٢ دون نسبة.

قال ابن الأنباري<sup>(١)</sup>: وهو وقفٌ حسن، ثم تبتدئ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على معنى: هو ربُّ السماوات.

النحاس<sup>(٢)</sup>: ويجوز أن يكون «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون بدلاً من «وَاحِدٌ».

قلت: وعلى هذين الوجهين لا يوقف «لَوَاحِدٌ». وحكى الأخفش<sup>(٣)</sup>: «رَبُّ السَّمَاوَاتِ» و«رَبُّ الْمَشَارِقِ» بالنَّضْبِ على النعت لاسم «إِنْ»<sup>(٤)</sup>.

بين سبحانه معنى وحدانيته وألوهيته وكمال قدرته بأنه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: خالقهما ومالكهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ أي: مالك مطالع<sup>(٥)</sup> الشمس. ابن عباس: للشمس كل يوم مشرق ومغرب؛ وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاث مئة وخمسة وستين كوة في مطلعها، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية، تطلع في كل يوم في كوة منها، وتغيب في كوة، لا تطلع في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل. ولا تطلع إلا وهي كارهة فتقول: رب لا تطلعني على عبادك، فإني أراهم يعصونك<sup>(٦)</sup>.

ذكر<sup>(٧)</sup> أبو عمر في كتاب «التمهيد»<sup>(٨)</sup>، وابن الأنباري في كتاب «الرد» عن عكرمة، قال: قلت لابن عباس: رأيت ما جاء عن النبي ﷺ في أمية بن أبي الصلت:

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٧/٢.

(٢) في إعراب القرآن ٤١٠/٣.

(٣) في معاني القرآن ٦٦٨/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤١٠/٣.

(٤) وهذا يجوز في اللغة لا في التلاوة.

(٥) في النسخ: مطلع، والمثبت من (م).

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٥٠) و (٦٧٢).

(٧) في (د) و (ز) و (م): ذكره، ولم تجود في (ظ)، والمثبت من (ف).

(٨) ٨ - ٧/٤.

«أَمِنْ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ»<sup>(١)</sup> قال: هو حق، فما أنكرتُم من ذلك؟ قلت: أنكرنا قوله:  
والشمسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ      حمراءُ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ  
ليستُ بطالعةٍ لهم في رَسْلِهَا      إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجَلَّدُ<sup>(٢)</sup>  
ما بالُ الشمسِ تُجَلَّدُ؟ فقال: والذي نفسي بيده، ما طلعتُ شمسٌ قطُّ حتى  
يَنخُسَهَا سبعون ألفَ مَلَكٍ، فيقولون لها: اطلعي اطلعي، فتقول: لا أَطْلُعُ على قوم  
يعبدونني من دون الله، فيأتيها ملكٌ فيستقل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطانٌ يريد أن  
يصدِّها عن الطُّلوعِ، فتطلعُ بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها، فذلك قولُ رسول الله  
ﷺ: «ما طلعتُ إلا بين قرني شيطان، ولا غربتُ إلا بين قرني شيطان»<sup>(٣)</sup> وما غربتُ  
قط إلا خَرَّتْ لله ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصدِّها عن السجود، فتغربُ بين  
قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها<sup>(٤)</sup>. لفظ ابن الأنباري.

وذكر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: صدق رسولُ الله ﷺ أمية بن أبي الصلت  
في هذا الشعر:

رَجُلٌ<sup>(٥)</sup> وَتَوَرَّدَ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ      وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى وَلَيْثٌ مُرَصَّدُ  
والشمسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ      حمراءُ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

(١) سلف ٣٨٤/٩ بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم (٢٢٥٥) من حديث الشريد بن سويد ؓ أن النبي ﷺ، استنثده من شعر أمية فأنشده.. فقال النبي ﷺ: «فلقد كاد يُسلم في شعره».

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٥٠ - ٥١ وصدر البيت الثاني فيه: تأبى فلا تبدوا لنا في رسلها.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا تحبونا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان» أخرجه أحمد (٤٦١٢)، والبخاري (٣٢٧٣)، ومسلم (٨٢٨): (٢٩٠).

(٤) بعدها في النسخ الخطية: فذلك قول رسول الله ﷺ: «ولا غربت إلا بين قرني شيطان» والمثبت من (م).

(٥) في (م): زحل، وهو كذلك في الإصابة ٢١١/١، والمثبت من النسخ الخطية، وديوان أمية ص ٥٠-٥١، وخزانة الأدب ٢٤٨/١.

ليست بطالعة لهم في رسلها إلا مُعَذَّبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ  
قال عكرمة: فقلت لابن عباس: يا مولاي، أتجلد الشمس؟ فقال: إنما اضطره  
الرؤي إلى الجلد، لكنها تخاف العقاب<sup>(١)</sup>.

ودلّ بذكر المطالع على المغارب؛ فلهذا لم يذكر المغارب، وهو كقوله:  
﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. وخصّ المشارق بالذكر؛ لأن الشروق قبل  
الغروب<sup>(٢)</sup>. وقال في سورة «الرحمن»: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الآية: ١٧] أراد  
بالمشرقين أقصى مَطْلِع تَطْلُع منه الشمس في الأيام الطوال، وأقصر يوم في الأيام  
القصار على ما تقدّم في «يس»<sup>(٣)</sup> والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ  
﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَلْأَلَىٰ أُولَىٰ وَوَقْدُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ  
وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قال قتادة: خلقت النجوم ثلاثاً:  
رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى بها، وزينة السماء الدنيا<sup>(٤)</sup>.

وقرأ مسروق والأعمش والنخعي وعاصم وحزمة: «بِزِينَةِ» مخفوض منون  
«الكواكب» خفض على البدل من «زينة» لأنها هي. وقرأ أبو بكر كذلك إلا أنه نصب  
«الكواكب»<sup>(٥)</sup> بالمصدر الذي هو «زينة». والمعنى: بأن زيناً الكواكب فيها.

ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أعني؛ كأنه قال: إِنَّا زَيْنًاها «بِزِينَةِ» أعني

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/٤ - ٩ دون قول عكرمة: يا مولاي، أتجلد الشمس.. وقول عكرمة  
هذا أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٥٠).

(٢) التكت والعيون ٣٧/٥ - ٣٨، وزاد المسير ٤٥/٧ - ٤٦، وينظر تفسير الطبري ٤٩٦/١٩.

(٣) ٢٨/١٥.

(٤) التكت والعيون ٣٨/٥.

(٥) السبعة ص ٥٤٦، والتيسير ص ١٨٦.

«الكواكب». وقيل: هي بدل من «زينة» على الموضع.

ويجوز «بِزِينَةِ الكواكب»<sup>(١)</sup> بمعنى: بأن زينتها الكواكب. أو بمعنى: هي الكواكب.

الباقون: «بِزِينَةِ الكواكب» على الإضافة. والمعنى: زيننا السماء بتزيين الكواكب؛ أي: بحسن الكواكب. ويجوز أن يكون كقراءة من نون إلا أنه حذف التنوين استخفافاً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر؛ أي: حَفِظْنَاهَا حِفْظًا ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ لَمَّا أُخْبِرَ أَنَّ الملائكة تنزل بالوحي من السماء، بين أنه حرس السماء عن استراق السمع بعد أن زينها بالكواكب.

والمارد: العاتي من الجن والإنس، والعرب تُسميه شيطانا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمِلَا أَلْعَلَى﴾ قال أبو حاتم: أي: لثلا يسمعون، ثم حذف [اللام و] «أن» فرفع الفعل<sup>(٤)</sup>.

الملا الأعلى: أهل السماء الدنيا فما فوقها، وسمى الكل منهم أعلى بالإضافة إلى ملا الأرض. الضمير في «يَسْمَعُونَ» للشياطين.

وقرأ جمهورُ الناس: «يَسْمَعُونَ» بسكون السين وتخفيف الميم. وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: «لا يَسْمَعُونَ» بتشديد السين والميم، من التسميع<sup>(٥)</sup>.

فينتفي على القراءة الأولى سماعهم وإن كانوا يستمعون، وهو المعنى الصحيح، ويعضده قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] وينتفي على القراءة

(١) حكاها الزهراوي كما في المحرر الوجيز ٤٦٦/٤.

(٢) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣/٤١٠ - ٤١١، وينظر الكشف عن وجوه القراءات ٢٢١/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤١١.

(٤) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ٩/٢٩٣ (وما بين حاصرتين منه) ثم قال: وفيه تعسف.

(٥) وهي قراءة الكسائي. السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦.

الأخيرة أن يقع منهم استماعٌ أو سَماع.

قال مجاهد: كانوا يتسمَّعون، ولكن لا يسمعون. وروي عن ابن عباس: «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ» قال: هم يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ<sup>(١)</sup>.

وأصل «يَسْمَعُونَ» يتسمَّعون، فأدغمتِ التاء في السين لِقُرْبِهَا مِنْهَا. واختارها أبو عبيد؛ لأن العرب لا تكاد تقول: سمعتُ إليه، وتقول: تسمَّعتُ إليه<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: يُرْمُونَ من كل جانب؛ أي: بالشَّهب. ﴿دُحُورًا﴾ مصدر؛ لأن معنى «يُقَدِّفُونَ» يُدْحَرُونَ؛ دحرتُه دَحْرًا ودُحُورًا، أي: طردته.

وقرأ السُّلمي ويعقوب الحَضْرَمِي: «دُحُورًا» بفتح الدال<sup>(٣)</sup>، يكون مصدرًا على فَعُول. وأما الفراء، فقدَّره<sup>(٤)</sup> على أنه اسمُ الفاعل. أي: وَيُقَدِّفُونَ بما يَدْحَرُهُمْ، أي: بدحور، ثم حذف الباء؛ والكوفيون يستعملون هذا كثيرًا [كما أنشدوا]:

تَمْرُونَ الدِيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا<sup>(٥)</sup>

واختلف هل كان هذا القذف قبل المَبْعَث، أو بعده لأجل المَبْعَث؛ على قولين. وجاءت الأحاديثُ بذلك على ما يأتي من ذكرها في سورة «الجن»<sup>(٦)</sup> عن ابن عباس. وقد يُمكن الجمعُ بينهما أن يقال: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: لم تكن الشياطين تُرْمَى بالنجوم قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، ثم رُميت؛ أي: لم تكن تُرْمَى رمياً يَفْطَعُهَا عن السَّمْع، ولكنها

(١) في (خ) و (د) و (ز) و (م): هم لا يسمعون ولا يتسمعون. وفي (ظ): هم لا يتسمعون. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٤١١/٣، والنكت والعيون ٣٨/٥، وتفسير الرازي ١٢٢/٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٦/٤.

(٣) وهي غير المشهورة عن يعقوب، وقراءته المشهورة عنه كقراءة الجماعة، وقراءة السلمي في القراءات الشاذة ص ١٢٧.

(٤) في (م): فإنه قدَّره.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤١٢/٣، وما بين حاصرتين منه. والبيت لجريز، وهو في ديوانه ٢٧٨/١، وعجزه: كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامٌ. ووقع صدره في الديوان: أتمضون الرسوم ولا تُحَيِّي. وهو برواية

المصنف في الخزانة ١٢١/٩.

(٦) في تفسير الآيات (٨ - ١٠).

كانت تُرْمَى وقتاً ولا تُرْمَى وقتاً، وتُرْمَى من جانب ولا تُرْمَى من جانب. ولعل الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ إلى هذا المعنى، وهو أنهم كانوا لا يُقَذَّفُونَ إلا من بعض الجوانب، فصاروا يُرْمَوْنَ واصلباً. وإنما كانوا من قبل كالمُتَجَسِّسَةِ من الإنس، يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره، ويسلّم واحد ولا يسلّم غيره، بل يُقبَضُ عليه ويُعاقب وينكل .

فلما بُعث النبي ﷺ زيد في حفظ السماء، وأعدت لهم شُهْبٌ لم تكن من قبل؛ ليُدْحَرُوا عن جميع جوانب السماء، ولا يَقْرُوا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها؛ فصاروا لا يقدرّون على سماع شيء مما يجري فيها، إلا أن يَخْتِطَفَ أحدٌ منهم بخفة حركته خطفةً، فيتبعه شهابٌ ثاقبٌ قبل أن ينزل إلى الأرض، فيلقبها إلى إخوانه فيحرقه؛ فبطلت من ذلك الكهانة، وحصلت الرسالة والنبوة.

فإن قيل: إن هذا القذف إن كان لأجل النبوة فليَمَ دَامَ بعد النبي ﷺ؟ فالجواب: أنه دام بدوام النبوة، فإن النبي ﷺ أخبر ببطلان الكهانة فقال: «ليس منا من تكهن»<sup>(١)</sup> فلو لم تُحرَسْ بعد موته لعادت الجنُّ إلى تسمّعها؛ وعادت الكهانة. ولا يجوز ذلك بعد أن بطل، ولأنَّ قَطَعَ الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين، ولم يؤمن أن يظنوا أنَّ الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة، فصَحَّ أن الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وبعد أن توفاه الله إلى كرامته صلى الله عليه وعلى آله.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ عن مجاهد وقتادة. وقال ابن عباس: شديد. الكلبي والسدي وأبو صالح: مُوجع؛ أي: الذي يَصِلُ وجعه إلى القلب؛ مأخوذٌ من الوَصَب، وهو المرض<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار (٣٥٧٨) من حديث عمران بن حصين ؓ بلفظ: «ليس منا تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له..» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٧/٥: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة. وسلف نحوه ٣٠٧/٩.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٥٠٦ - ٥٠٧، والنكت والعيون ٣٩/٥.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ استثناء من قوله: ﴿وَيَقْدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ وقيل: الاستثناء يرجع إلى غير الوحي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] فيسترقُّ الواحدُ منهم شيئاً مما يتفاوضُ فيه الملائكة مما سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهلُ الأرض؛ وهذا ليخفِّة أجسام الشياطين، فيرجمون بالشُّهب حينئذ.

وروي في هذا الباب أحاديثٌ صحاح، مضمونها: أن الشياطين كانت تصعدُ إلى السماء، فتقعد للسمع واحداً فوق واحد، فيتقدَّم الأجرُّ نحو السماء، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، فيقضي الله تعالى الأمر من أمر الأرض، فيتحدَّث به أهلُ السماء، فيسمعه منهم الشيطان الأذنى، فيلقيه إلى الذي تحته، وربما أحرقه شهاب وقد ألقى الكلام، وربما لم يُحرِّقه، على ما بيَّناه. فتزل تلك الكلمة إلى الكُهَّان، فيكذبون معها مئةَ كذبة، وتصدق تلك الكلمة، فيصدق الجاهلون الجميع، كما بيَّناه في «الأنعام»<sup>(١)</sup>.

فلما جاء الله بالإسلام حُرست السماء بشدة، فلا يُفلت شيطانٌ سمع بثةً. والكواكبُ الراجمة هي التي يراها الناس تنقض. قال النقَّاش ومكي: وليست بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها؛ لأنها قريبة منا<sup>(٢)</sup>.

وقد مضى في هذا الباب في سورة «الحجر»<sup>(٣)</sup> من البيان ما فيه كفاية. وذكرنا في «سبا»<sup>(٤)</sup> حديثَ أبي هريرة. وفيه: «والشياطينُ بعضهم فوق بعض» وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح. وفيه: عن ابن عباس: «ويختطفُ الشياطينُ السَّمْعَ، فيرمون،

(١) ٤٠٥/٨، وذكر المصنف ثمة في هذا المعنى حديث عائشة رضي الله عنها، وهو عند البخاري (٣٢١٠)، وينظر حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم (٢٢٢٩)، وهذا الكلام وما بعده من المحرر الوجيز ٤/٤٦٦.

(٢) قال ابن عطية: في هذا نظر.

(٣) ١٨٧/١٢ وما بعدها.

(٤) ٢٩٦/١٤.

فَيَقْدِرُونَهُ إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَزِيدُونَ». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ<sup>(١)</sup>.

وَالْحَطْفُ: أَخَذُ الشَّيْءِ بِسُرْعَةٍ؛ [يُقَالُ: ] حَطَفَ وَحَطِفَ وَحَطَفَ وَحَطَفَ وَحَطَفَ وَحَطَفَ<sup>(٢)</sup>. وَالْأَصْلُ فِي الْمُسَدَّدَاتِ: اخْتَطَفَ، فَأَدْعَمَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ لِأَنَّهَا أَخْتَمَتْ، وَفَتَحَتْ الْخَاءَ؛ لِأَنَّ حَرَكَةَ التَّاءِ أَلْقِيَتْ عَلَيْهَا. وَمَنْ كَسَرَهَا فَلِلتَّاءِ السَّاكِنِينَ. وَمَنْ كَسَرَ الطَّاءَ أَتْبَعَ الْكسَرَ الْكسَرَ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِقٌ﴾ أَي: مُضِيءٌ؛ قَالَ الضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمَا<sup>(٤)</sup>. وَقِيلَ: الْمُرَادُ كَوَاكِبُ النَّارِ تَتَّبِعُهُمْ حَتَّى تُسْقِطَهُمْ فِي الْبَحْرِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الشَّهْبِ: تُحْرَقُهُمْ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ<sup>(٥)</sup>. وَليست الشُّهْبُ الَّتِي يَرْجَمُ<sup>(٦)</sup> بِهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رُؤْيَا حَرَكَاتِهَا، وَالثَّابِتَةُ تَجْرِي وَلَا تُرَى حَرَكَاتُهَا لِبُعْدِهَا. وَقَدْ مَضَى هَذَا.

وَجَمْعُ شِهَابٍ شُهْبٌ، وَالْقِيَاسُ فِي الْقَلِيلِ أَشْهَبَةٌ وَإِنْ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الْعَرَبِ<sup>(٧)</sup>. وَ«ثَائِقٌ» مَعْنَاهُ: مُضِيءٌ؛ قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو مِجْلَزٍ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: وَرَزَدُكَ أَنْقَبُ أَرْزَادِهَا<sup>(٨)</sup>. أَي: أَضْوَأُ. وَحَكَى الْأَخْفَشُ فِي الْجَمْعِ: شُهْبٌ نُقْبٌ، وَثَوَاقِبٌ وَثِقَابٌ. وَحَكَى الْكِسَائِيُّ: تَقَبَّتِ النَّارُ تَقْبُ ثِقَابَةً وَثِقَابًا، إِذَا اتَّقَدَتْ، وَأَنْقَبْتُهَا أَنَا<sup>(٩)</sup>. وَقَالَ زَيْدُ ابْنِ أَسْلَمٍ فِي الثَّائِقِ: إِنَّهُ الْمُسْتَوَقْدُ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَنْقَبَ رَزْدُكَ، أَي: اسْتَوَقَدَ نَارَكَ؛

(١) سنن الترمذي (٣٢٢٤).

(٢) وهذه قراء الحسن وقتادة وعيسى كما في القراءات الشاذة ص ١٢٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤١٢/٣.

(٤) النكت والعيون ٣٩/٥ عن الضحاك.

(٥) أخرجه الطبري ٥٠٨/١٩.

(٦) بعدها في (م): الناس.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤١٣/٣.

(٨) معاني القرآن للنحاس ١٣/٦، والرَّزْدُ: خشبة يُسْتَقَدَّحُ بِهَا. اللسان (زند).

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤١٣/٣، وينظر اللسان (ثقب).

قاله الأخفش. وأنشد قول الشاعر:

بينما المرء شهابٌ ثاقبٌ ضربَ الدهرُ سناهُ فحمد<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفِينِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ لَوْذَا مِنَّا وَكُنَّا نَرَاهَا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفِينِهِمْ﴾ أي: سلّمهم، يعني أهل مكة؛ مأخوذ من استفتاء المفتي. ﴿أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ قال مجاهد: أي: من خلقنا من السماوات والأرض والجبال والبحار. وقيل: يدخل فيه الملائكة ومن سلف من الأمم الماضية. يدل على ذلك أنه أخبر عنهم بـ«مَنْ» قال سعيد بن جبير: الملائكة. وقال غيره: من الأمم الماضية، وقد هلكوا، وهم أشدُّ خلقاً منهم<sup>(٢)</sup>.

نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وسُمِّي بأبي الأشد لشدّة بطشه وقوّته<sup>(٣)</sup>. وسيأتي في «البلد»<sup>(٤)</sup> ذكره. ونظير هذه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله: ﴿مَأْتَمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ أَسْمَاءُ﴾<sup>(٥)</sup> [النازعات: ٢٧].

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ أي: لاصق؛ قاله ابن عباس. ومنه قول عليّ ؑ: تَعَلَّمْ فَإِنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً وَأَخْلَقَ خَيْرَ كَلِّهَا لَكَ لَازِبٌ

(١) النكت والعيون ٣٩/٥، وقول زيد بن أسلم أخرجه الطبري ٥٠٩/١٩، والبيت لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني، ذكره الجاحظ في «البرصان» ص ١٢٢.

(٢) هذه الأقوال في النكت والعيون ٤٠/٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٥١٠/١٩.

(٣) الكشاف ٣٣٧/٣، وأبو الأشد الجمحي قُتل كافراً، وذكر السهيلي في الروض الأنف ٦٥/٢ أنه قال للنبي ﷺ: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله ﷺ مراراً فلم يؤمن.

(٤) في تفسير الآيات (٥ - ٩).

(٥) تفسير البغوي ٢٣/٤.

وقال قتادة وابن زيد: معنى «لَازِبٍ» لازق. الماوردي<sup>(١)</sup>: والفرقُ بين اللاصق واللازق: أن اللاصق: هو الذي قد لَصِقَ بعضُه ببعض، واللازق: هو الذي يلتزق بما أصابه.

وقال عكرمة: «لَازِبٍ» لزج<sup>(٢)</sup>. سعيد بن جبير: أي: جيد حرٌّ يُلصَقُ باليد. مجاهد: «لَازِبٍ» لاتم<sup>(٣)</sup>. والعرب تقول: طينٌ لازِبٌ ولازِمٌ، تبدل الباء من الميم. ومثله قولهم: لاتب ولاتم<sup>(٤)</sup>. على إبدال الباء بالميم. واللازب الثابت؛ تقول: صار الشيء صَرَبَةً لازب، وهو أفصحُ من لازم. قال النابغة:

ولا يَحْسِبُونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ      ولا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ<sup>(٥)</sup>  
وحكى الفراء عن العرب: طين لاتب بمعنى لازم<sup>(٦)</sup>. واللاتب الثابت؛ تقول منه: لَتَبَ يَلْتَبُ لَتْبًا ولُتُوبًا، مثل: لَزَبَ يَلْزُبُ - بالضم - لُزُوبًا؛ وأنشد أبو الجراح في اللاتب:

فإن يك هذا من نَبِيذِ شَرْنِئْتُهُ      فإنِّي من شُرْبِ النَّبِيذِ لَتَائِبُ  
صُدَاعٌ وَتَوْصِيمُ العِظَامِ وَفَثْرَةٌ      وَغَمٌّ مع الإِشْرَاقِ في الجَوْفِ لَاتِبُ  
واللاتب أيضاً: اللاصق: مثل: اللأزب، عن الأصمعي، حكاه الجوهري<sup>(٧)</sup>.

(١) في النكت والعيون ٤٠/٥، وما قبله منه، وقول قتادة أخرجه الطبري ٥١٣/١٩.

(٢) أخرجه الطبري ٥١٢/١٩.

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٠/٢، وأخرجه الطبري ٥١٣/١٩.

(٤) في (خ) و(ز) و(ف): لاتب ولاتم، وفي (د): لاتب ولازم، وفي (م): لاتب ولازم، والمثبت من (ظ). واللَّتَبُ واللُّتْمُ: الطعن في النحر. اللسان (لتم).

(٥) تفسير الطبري ٥١١/١٩، والصحاح (لزب) والبيت في ديوان النابغة ص ١٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٨٤/٢، ونسب هذه اللغة لقيس، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤١٣/٣.

(٧) في الصحاح (لتب) و(لزب) والبيتان فيه، والبيت الثاني في معاني القرآن للفراء ٣٨٤/٢، وتفسير الطبري ٥١١/١٩، وفيهما: وغثي، بدل: وغم.

وقال السدي والكلبي في اللآزب: إنه الخالص. مجاهد والضحاك: إنه المُتَن<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قراءة أهل المدينة وأبي عمر وعاصم بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ<sup>(٢)</sup>؛ أي: بل عجبته مما نزل عليك من القرآن وهم يسخرون به. وهي قراءة شُريح و[أنكر قراءة الضم وقال: إن الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب من لا يعلم. وقيل: المعنى بل عجبته من إنكارها للبعث<sup>(٣)</sup>.

وقرأ الكوفيون إلا عاصماً بضم التاء<sup>(٤)</sup>.

واختارها أبو عُبيد والفرّاء، وهي مروية عن عليّ وابن مسعود؛ رواها شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: «بَلْ عَجِبْتُ» بضم التاء. وتروى عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>.

قال الفرّاء<sup>(٦)</sup> في قوله سبحانه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قرأها الناس بنصب التاء ورفعها، والرفع أحبُّ إليّ؛ لأنها عن عليّ وعبد الله وابن عباس. وقال أبو زكريا الفرّاء: العجبُ إن أُسند إلى الله عز وجل فليس معناه من الله كمعناه من العباد؛ وكذلك قوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ليس ذلك من الله كمعناه من العباد. وفي هذا بيان الكسر لقول شُريح حيث أنكر القراءة بها.

روى جرير عن الأعمش<sup>(٧)</sup> عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قرأها عبد الله يعني ابن مسعود: «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ» قال شُريح: إنَّ الله لا يعجبُ من شيء، إنما يعجبُ مَنْ لا يعلم. قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم فقال: إنَّ شُريحاً كان يُعجبه

(١) تفسير البغوي ٢٤/٤.

(٢) السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/٣٥٦.

(٣) معاني القرآن للنحاس ١٥/٦، وما بين حاصرتين منه. وقال الزجاج في معاني القرآن ٤/٣٠٠: وإنكارها هذا غلط؛ لأن القراءة والرواية كثيرة، والعجبُ من الله عز وجل خلافة من آدميين.

(٤) السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/٣٥٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤١٣.

(٦) في معاني القرآن ٢/٣٨٤.

(٧) في (م): والأعمش. وجرير: هو ابن عبد الحميد الضبي.

رأيه، إن عبد الله كان أعلم من شريح، وكان يقرؤها عبد الله: «بَلْ عَجِبْتُ»<sup>(١)</sup>.

قال الهروي: وقال بعض الأئمة: معنى قوله: «بَلْ عَجِبْتُ»: بل جازيتهم على عجبهم<sup>(٢)</sup>؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق؛ فقال: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٤]، وقالوا<sup>(٣)</sup>: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌّ﴾ [ص: ٥] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ [يونس: ٢] فقال تعالى: «بَلْ عَجِبْتُ» بل جازيتهم على التعجب.

قلت: وهذا تمام قول الفراء، واختاره البيهقي<sup>(٤)</sup>.

وقال علي بن سليمان: معنى القراءتين واحد، والتقدير: قُلْ يا محمد: بل عجبت؛ لأن النبي ﷺ مخاطب بالقرآن. النحاس<sup>(٥)</sup>: وهذا قول حسن، وإضمار القول كثير.

البيهقي<sup>(٦)</sup>: والأول أصح.

المهدوي: ويجوز أن يكون إخبارُ الله عن نفسه بالعجب محمولاً على أنه أظهر من أمره وسخطه على من كَفَّر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين؛ كما يُحْمَل إخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن يرضى عنه - على ما جاء في الخبر عن النبي ﷺ<sup>(٧)</sup> - على أنه أظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازاً واتساعاً.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٩١).

(٢) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٠/٧ لابن الأنباري.

(٣) في (م): وقال.

(٤) في الأسماء والصفات ٤١٦/٢.

(٥) في إعراب القرآن للنحاس ٤١٣/٣، وما قبله منه.

(٦) في الأسماء والصفات ٤١٦/٢.

(٧) مثل حديث: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد» أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

قال الهروي: ويقال: معنى «عَجِبَ رَبُّكُمْ»: أي: رضي وأثاب؛ فسَمَّاهُ عَجَبًا، وليس بعجب في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَتَكْرَهُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] معناه: ويُجازيهم الله على مكرهم، ومثله في الحديث: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِيَّاكُمْ وَقُنُوطِكُمْ»<sup>(١)</sup>. وقد يكون العجبُ بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيمًا. فيكون معنى قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أي: بل عَظُمَ فِعْلُهُمْ عِنْدِي.

قال البيهقي<sup>(٢)</sup>: ويُشبه أن يكون هذا معنى حديث عُقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ»<sup>(٣)</sup> وكذلك ما خرَّجه البخاري عن [أبي هريرة عن النبي ﷺ] قال: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»<sup>(٤)</sup>.

قال البيهقي: وقد يكون هذا الحديث وما ورد من أمثاله أنه يعجب ملائكته من كرمه ورأفته بعباده<sup>(٥)</sup>، حين حَمَلَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ بِالْقِتَالِ وَالْأَسْرِ فِي السَّلَاسِلِ، حَتَّى إِذَا آمَنُوا أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ.

وقيل: معنى «بَلْ عَجِبْتَ»: بل أنكرت. حكاة النقاش.

وقال الحسين بن الفضل: التعجبُ من الله إنكارُ الشيء وتعظيمه، وهو لغةُ العرب. وقد جاء في الخبر: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِيَّاكُمْ وَقُنُوطِكُمْ».

﴿وَسَخَّرُونَ﴾ قيل: الواو واو الحال؛ أي: عَجِبْتُ مِنْهُمْ فِي حَالِ سُخْرِيَّتِهِمْ.

(١) أورده أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٢٦٩. وقال: فإن كان المحفوظ قوله: «من إِيَّاكُمْ» بكسر الألف، فإني أحسبها: من إِيَّاكُمْ، بالفتح، وهو أشبه بالمصادر. وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء، ويجار فيه.

(٢) في الأسماء والصفات ٢/٤١٧-٤١٨.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٧١).

(٤) من قوله: وكذلك.. إلى هنا، ليس في (خ) و (د) و (ز) و (ظ)، ووقع في (ف): وكذلك ما خرَّجه البخاري عن، وبعده بياض إلى هنا، وما بين حاصرتين من صحيح البخاري (٣٠١٠)، وأخرجه أحمد (٩٢٧١).

(٥) الصواب إثبات صفة العَجَبِ لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: «بَلْ عَجِبْتَ» ثم استأنف فقال: «وَيَسْخَرُونَ» أي: مما جئت به إذا تلوته عليهم. وقيل: يسخرون منك إذا دعوتهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: وُعطوا بالقرآن في قول قتادة ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ لا ينتفعون به. وقال سعيد بن جبیر: أي: إذا ذُكر لهم ما حلَّ بالمُكذِّبين من قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ أي: معجزة ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يسخرون في قول قتادة. ويقولون: إنها سحر. واستسخر وسخر بمعنى، مثل: استقر وقر، واستعجب وعجب<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «يَسْتَسْخِرُونَ» أي: يستدعون السُّخري من غيرهم<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: يستهزئون<sup>(٤)</sup>. وقيل: أي: يظنون أن تلك الآية سُخرية.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا: هذا سحرٌ وتخييلٌ وخداع.

﴿أَوَءَاؤُنَا﴾ أي: أُنبت إذا متنا؟. فهو استفهامٌ إنكار منهم وسُخرية. ﴿أَوَءَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي: أو تُبعث أباؤنا. دخلت ألفُ الاستفهام على حرف العطف. وقرأ نافع: ﴿أَوَءَاؤُنَا﴾ بسكون الواو<sup>(٥)</sup>. وقد مضى هذا في سورة «الأعراف» في قوله تعالى: ﴿أَوَءَاؤُنَا أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الآية: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ أي: تُبعثون. ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: صاغرون أذلاء<sup>(٦)</sup>؛

(١) النكت والعيون ٤١/٥ بنحوه، وقول قتادة أخرجه الطبري ٥١٥/١٩.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٥١٥/١٩ - ٥١٦.

(٥) قرأ بها نافع في رواية قالون، وابن عامر. السبعة ص ٢٨٧، والتيسير ص ١٨٦.

(٦) زاد المسير ٥٢/٧.

لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذُلُّون. وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم، فهو أمر واقع على رغمكم وإن أنكرتموه اليوم بزعمكم.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: صيحة واحدة؛ قاله الحسن. وهي النفخة الثانية. وسُمِّيت الصيحة زجراً؛ لأن مقصودها الزجر<sup>(١)</sup>؛ أي: يُزَجَّر بها كزجر الإبل والخيول عند السوق.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضهم إلى بعض. وقيل: المعنى: ينتظرون ما يفعل بهم. وقيل: هي مثل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧]. وقيل: أي: ينظرون إلى البعث الذي أنكروه<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ نادوا على أنفسهم بالويل؛ لأنهم يومئذ يعلمون ما حلَّ بهم. وهو منصوب على أنه مصدر عند البصريين. وزعم الفراء أن تقديره: يا وَيْ لَنَا، وَيْ بمعنى حُزْن. النحاس<sup>(٣)</sup>: ولو كان كما قال لكان منفصلاً، وهو في المصحف متَّصل، ولا نعلم أحداً يكتبه إلا متَّصلاً.

و«يَوْمُ الَّذِينَ» يوم الحساب. وقيل: يوم الجزاء<sup>(٤)</sup>.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ قيل: هو من قول بعضهم لبعض؛ أي: هذا اليوم الذي كذبنا به. وقيل: هو من قول الله تعالى لهم<sup>(٥)</sup>. وقيل: من قول الملائكة؛ أي: هذا يوم الحكم بين الناس، فيبين المُحَقِّق من المُبْطَل. ف﴿وَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَوَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>(٦)</sup> [الشورى: ٧].

(١) النكت والعيون ٤٢/٥ .

(٢) النكت والعيون ٤٢/٥ ، والمحزر الوجيز ٤٦٨/٤ بنحوه.

(٣) في إعراب القرآن ٤١٤/٣ ، وما قبله منه.

(٤) النكت والعيون ٤٢/٥ .

(٥) تفسير الطبري ٥١٨/١٩ .

(٦) تفسير الرازي ١٣٠/٢٦ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْمِعُونَ (٢٦) وَأَقْبَلْ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ بِنِسَاءِ لَوْلَا (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَدِيرِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ هو من قول الله تعالى للملائكة: «أَحْشُرُوا» المشركين «وَأَزْوَاجَهُمْ» أي: أشياعهم في الشُّرك، والشُّرك الظُّلم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَلَشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فَيُحْشِرُ الْكَافِرَ مَعَ الْكَافِرِ؛ قاله قتادة وأبو العالية .

وقال عمر بن الخطاب في قول الله عز وجل: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: الزاني مع الزاني، وشاربُ الخمر مع شاربِ الخمر، وصاحبُ السرقة مع صاحبِ السرقة. وقال ابن عباس: «وَأَزْوَاجَهُمْ» أي: أشباههم. وهذا يرجعُ إلى قول عمر .  
وقيل: «وَأَزْوَاجَهُمْ» نساءهم المُوافقات على الكُفر؛ قاله مجاهد والحسن، ورواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب .

وقال الضحاك: «وَأَزْوَاجَهُمْ» قُرْناءهم من الشياطين. وهذا قولٌ مقاتل أيضاً: يُحْشِرُ كُلُّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانِهِ فِي سِلْسِلَةٍ (١) .

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والشياطين وإبليس (٢) .  
﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: سُوقُوهُمْ إِلَى النَّارِ. وقيل: «فَاهْدُوهُمْ» أي: دُلُّوهُمْ.

(١) الأقوال السالفة في إعراب القرآن للنحاس ٤١٥/٣، والنكت والعيون ٤٣/٥، وزاد المسير ٥٢/٧ .  
وقول ابن عباس وعمر رضي الله عنهم أخرجه الطبري ٥١٩/١٩ - ٥٢٠ .  
(٢) النكت والعيون ٤٣/٥ .

يقال: هَدَيْتُهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَهَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ؛ أَي: دَلَّلْتَهُ عَلَيْهِ. وَأَهْدَيْتُ الْهَدْيَةَ، وَهَدَيْتُ الْعُرُوسَ، وَيُقَالُ: أَهْدَيْتُهَا؛ أَي: جَعَلْتُهَا بِمَنْزِلَةِ الْهَدْيَةِ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وحكى عيسى بن عمر: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة. قال الكسائي: أَي: لَأَنَّهُمْ، وبأنهم<sup>(٢)</sup>، يُقَالُ: وَقَفْتُ الدَّابَّةَ أَقْفُهَا وَقَفًّا فَوَقَفْتُ هِيَ وَقُوفًا، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى<sup>(٣)</sup>؛ أَي: أَحْسَبُهُمْ. وَهَذَا يَكُونُ قَبْلَ السُّوقِ إِلَى الْجَحِيمِ؛ وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَي: قَفُّوهُمْ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ سَوْقُوهُمْ إِلَى النَّارِ. وَقِيلَ: يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ أَوْلَى، ثُمَّ يُحْشَرُونَ لِلسُّؤَالِ إِذَا قَرَّبُوا مِنَ النَّارِ.

«إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ؛ قَالَه الْقُرْطَبِيُّ وَالْكَلْبِيُّ. الضَّحَّاكُ: عَنْ خَطَايَاهُمْ. ابْنُ عَبَّاسٍ: عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(٤)</sup>. وَعَنْهُ أَيْضًا: عَنْ ظُلْمِ الْخَلْقِ.

وفي هذا كله دليل على أن الكافر يُحَاسَبُ. وقد مضى في «الحجر» الكلام فيه<sup>(٥)</sup>. وقيل: سؤالهم: أن يقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] إقامة للحجة. ويقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ على جهة التقرير والتوبيخ؛ أَي: يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَمْنَعُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ<sup>(٦)</sup>.

وقيل: هو إشارة إلى قول أبي جهل يوم بدر: ﴿مَنْ جَمِيعٌ مُنْصَرٌّ﴾<sup>(٧)</sup> [القمر: ٤٤]. وأصله: تتناصرون، فطرح إحدى التاءين تخفيفاً. وشدد البزِّي التاء في الوصل<sup>(٨)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤١٦/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤١٦/٣، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ١٢٧.

(٣) الصحاح (وقف).

(٤) هذه الأقوال في زاد المسير ٥٣/٧.

(٥) ٢٥٩/١٢ - ٢٦٠.

(٦) النكت والعيون ٤٤/٥ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٤٦٩، وزاد المسير ٥٣/٧.

(٨) التيسير ص ٨٣.

قوله تعالى: ﴿كَلْ هُرْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ قال قتادة: مستسلمون في عذاب الله عز وجل<sup>(١)</sup>. ابن عباس: خاضعون ذليلون. الحسن: مُنقادون. الأخفش: مُلقون بأيديهم. والمعنى مُتقارب.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الرؤساء والأتباع ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ يتخاصمون<sup>(٢)</sup>. ويقال: لا يتساءلون، فسقطت لا. النحاس<sup>(٣)</sup>: وإنما غلِطَ الجاهل باللغة، فتوهم أن هذا من قوله: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، إنما هو: لا يتساءلون بالأرحام، فيقول أحدهم: أسألك بالرحم الذي بيني وبينك لما نفعتني، أو أسقطت لي حقاً لك عليّ، أو وهبت لي حسنة. وهذا بيّن؛ لأن قبله ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾. أي: ليس ينتفعون بالأنساب التي بينهم؛ كما جاء في الحديث «إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَرٌ بَأَن يَصْحَّ لَهُ عَلَى أَبِيهِ أَوْ عَلَى ابْنِهِ حَقٌّ فَيَأْخُذَهُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ»<sup>(٤)</sup>، وفي حديث آخر: «رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ، فَأَتَاهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُطَالِبَهُ بِهِ، فَيَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ زِيدَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمُطَالِبِ»<sup>(٥)</sup>.

و«يَسَاءَلُونَ» هاهنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضاً ويؤبّخه في أنه أضلّه أو فتح له باباً من المعصية؛ يُبيّن ذلك أن بعده ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين. قتادة: هو قول الإنس للجن. وقيل: هو من قول الأتباع للمتبعين<sup>(٧)</sup>؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتًا عِنْدَ

(١) أخرجه الطبري ٥٢٤/١٩ .

(٢) تفسير البغوي ٢٥/٤ .

(٣) في إعراب القرآن ٤١٦/٣ - ٤١٧ .

(٤) لم نقف عليه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤١٩) بنحوه من حديث أبي هريرة ؓ. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤١٧/٣ .

(٧) النكت والعيون ٤٥/٥ ، والمحرم الوجيز ٤/٤٦٩ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٥٢٤/١٩ .

رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴿الآية [سبا: ٣١] .

قال سعيد عن قتادة: أي: تأتوننا عن طريق الخير وتصدّوننا عنها. وعن ابن عباس نحو منه. وقيل: تأتوننا عن اليمين التي نُحبها ونتفاهل بها لتغرونا بذلك من جهة النُصح. والعربُ تتفاهل بما جاء عن اليمين وتُسميه السانح. وقيل: «تأتوننا عن اليمين» تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدّقناه<sup>(١)</sup>. وقيل: تأتوننا من قبل الدّين فتَهوّنون علينا أمرَ الشريعة وتُفرونا عنها<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهذا القولُ حسنٌ جداً؛ لأن من جهة الدّين يكون الخير والشرّ، واليمين بمعنى الدّين؛ أي: كنتم تزيّنون لنا الضلالة .

وقيل: اليمين بمعنى القوّة؛ أي: تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر؛ قال الله تعالى: ﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ سََّراً بِالْيَمِينِ﴾ أي: بالقوّة وقوّة الرجل في يمينه؛ وقال الشاعر: إذا ما رايّة رُفِعَتْ لمجدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ<sup>(٣)</sup> أي: بالقوّة والقُدرة. وهذا قولُ ابن عباس. وقال مجاهد: «تأتوننا عن اليمين» أي: من قبل الحقّ أنه معكم<sup>(٤)</sup>؛ وكلّه مُتقارب المعنى .

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ قال قتادة: هذا قولُ الشياطين لهم<sup>(٥)</sup>. وقيل: من قول الرؤساء؛ أي: لم تكونوا مؤمنين قطّ حتى ننقلكم منه إلى الكفر، بل كنتم على الكفر فأقمتم عليه للإلف والعادة ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطٰنٍ﴾ أي: من حُجة في ترك الحقّ. ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طٰغِينَ﴾ أي: ضالّين مُتجاوزين الحدّ .

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ هو أيضاً من قول المتبوعين؛ أي: وجب علينا وعليكم قولُ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤١٧/٣ .

(٢) زاد المسير ٥٤/٧ بنحوه.

(٣) قائله الشماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص ٣٣٦ .

(٤) النكت والعيون ٤٥/٥ - ٤٦ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤١٧/٣ .

ربنا، فكلنا ذائقو العذاب، كما كتب الله وأخبر على السنة الرُّسل ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ  
الْحِجَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup> [هود: ١١٩]. وهذا موافق للحديث: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ كَتَبَ  
لِلنَّارِ أَهْلًا وَلِلْجَنَّةِ أَهْلًا، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَغْوَيْنَهُمْ﴾ أي: زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ بالسوسة  
والاستدعاء. ثم قال خبراً عنهم: ﴿فَأَنبَتَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الضالَّ والمُضِلَّ.  
﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الفعل ﴿نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين.  
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: إذا قيل لهم: قولوا، فأضمر  
القول.

و«يَسْتَكْبِرُونَ» في موضع نصب على خبر كان. ويجوز أن يكون في موضع رفع  
على أنه خبر إن، وكان مُلغاة<sup>(٣)</sup>. ولما قال النبي ﷺ لأبي طالب عند موته واجتماع  
قريش «قولوا: لا إله إلا الله، تملِكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم»<sup>(٤)</sup> أبوا  
وأنفوا من ذلك. وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «أنزل الله تعالى في كتابه فذكر قوماً  
استكبروا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ  
جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّعِينَةَ حِجَّةَ الْبُهْلَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] وهي: لا إله إلا  
الله محمدٌ رسولُ الله» استكبر عنها المشركون يومَ الحُدَيْبِيَّةِ يومَ كاتبهم رسولُ الله ﷺ

(١) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٣٦/٤، وزاد المسير ٥٤/٧ - ٥٥.

(٢) لم تقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج نحوه أحمد (٦٥٦٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما،  
وإسناده ضعيف، وفي هذا المعنى عدة أحاديث ثابتة سلفت الإشارة إليها ٣٧٦/٩، منها حديث  
علي ؑ، ولفظه: «ما منكم من أحدٍ، ما من نفس منقوسة إلا كُتِبَ مكانها من الجنة والنار..» أخرجه  
أحمد (٦٢١)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤١٨/٣.

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

على قضية المُدَّة؛ ذكر هذا الخبر البيهقي<sup>(١)</sup>، والذي قبله القشيري.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا بِمَا نَعْمَلُونَ كَذِبًا﴾ (٣٦) ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧) ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠)

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا بِمَا نَعْمَلُونَ﴾ أي: ليقول شاعر مجنون؛ فردَّ الله جل وعز عليهم فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ يعني القرآن والتوحيد ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فيما جاؤوا به من التوحيد.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ الأصل: لذائقون، فحذفت النون استخفافاً وحُفِضت للإضافة. ويجوز النصب كما أنشد سيبويه<sup>(٢)</sup>:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٣)</sup>  
وأجاز سيبويه «وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ» [الحج: ٣٥]<sup>(٤)</sup> على هذا.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إلا بما عملتم من الشرك ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء ممن يذوق العذاب. وقراءة أهل المدينة والكوفة: «الْمُخْلِصِينَ» بفتح اللام<sup>(٥)</sup>، يعني الذين أخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته. الباقيون بكسر اللام؛ أي: الذين أخلصوا لله العبادة. وقيل: هو استثناء منقطع؛ أي: إنكم أيها المجرمون ذائقو العذاب، لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب<sup>(٦)</sup>.

(١) في الأسماء والصفات (١٩٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢١٨).

(٢) في الكتاب ١/١٦٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤١٨.

(٣) قائله أبو الأسود الدؤلي، وسلف ١٥/٢.

(٤) قرأ بها ابن أبي إسحاق، كما ذكرناه ١٤/٣٩٣.

(٥) السبعة ص ٣٤٨، والتيسير ص ١٢٨.

(٦) تفسير الرازي ٢٦/١٣٦ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّنْ كَرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ يعني المخلصين؛ أي: لهم عطية معلومة لا تنقطع. قال قتادة: يعني الجنة. وقال غيره: يعني رزق الجنة. وقيل: هي الفواكه التي ذكر. قال مقاتل: حين يشتهونه. وقال ابن السائب: إنه بمقدار العداة والعشي؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّنْ كَرُمُونَ﴾ جمع فاكهة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢] وهي الثمار كلها رطبها ويابسها؛ قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُمْ مِّمَّنْ كَرُمُونَ﴾ أي: ولهم إكرام من الله جل وعز برفع الدرجات وسماع كلامه ولقائه. ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: في بساتين يتنعمون فيها. وقد تقدّم أن الجنان سبع في سورة «يونس» منها النعيم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ قال عكرمة ومجاهد: لا ينظر بعضهم في قفا بعض<sup>(٣)</sup>، تواصلًا وتحابيًا. وقيل: الأسيرة تدور كيف شاؤوا، فلا يرى أحدٌ قفا أحد. وقال ابن عباس: على سُررٍ مكدلة بالذرّ والياقوت والزبرجد؛ السرير ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى أيلة<sup>(٤)</sup>. وقيل: تدور بأهل المنزل الواحد. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم.

(١) زاد المسير ٥٥/٧ - ٥٦.

(٢) ٤٨١/١٠.

(٣) قول مجاهد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٨/١٣، وقول عكرمة أورده النحاس في إعراب القرآن

٤١٩/٣.

(٤) لم تقف عليه. وأيلة: جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع.

والكأسُ عند أهل اللغة اسمٌ شامل لكلِّ إناءٍ مع شرايه؛ فإن كان فارغاً فليس بكأس<sup>(١)</sup>. قال الضحاك والسدي: كلُّ كأسٍ في القرآن فهي الخمر، والعربُ تقول للإِناء إذا كان فيه خمرٌ: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر قالوا: إناء وقدح<sup>(٢)</sup>.

النحاس<sup>(٣)</sup>: وحكى من يُوثق به من أهل اللغة أن العرب تقول لِلْقَدَحِ إذا كان فيه خمر: كأس؛ فإذا لم يكن فيه خمرٌ فهو قَدَحٌ؛ كما يقال لِلْحَوَانِ إذا كان عليه طعام: مائدة، فإذا لم يكن عليه طعام لم تقل له: مائدة. قال أبو الحسن بن كيسان: ومنه: ظعينة، للهودج إذا كان فيه المرأة.

وقال الزجاج<sup>(٤)</sup>: «بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي: من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض. والمعين: الماء الجاري الظاهر<sup>(٥)</sup>.

﴿بَيْضَاءٌ﴾ صفةٌ للكأس. وقيل: للخمر. ﴿لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ قال الحسن: خمرُ الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن<sup>(٦)</sup>. «لَذَّةٌ»، قال الزجاج<sup>(٧)</sup>: أي: ذات لذة، فحذف المضاف. وقيل: هو مصدر جعل اسماً، أي: بياض لذيذة؛ يقال: شرابٌ لَذٌّ ولذيذ، مثل: نباتٌ غَضٌّ وغَضِيضٌ. فأما قولُ القائل:

ولذُّ كَطْعَمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُهُ  
بأرضِ العِدَا مِنْ خَشِيَةِ الحَدَثَانِ<sup>(٨)</sup>

(١) زاد المسير ٥٦/٧، وينظر تهذيب اللغة ٣١٤/١٠.

(٢) تفسير الطبري ٥٣١/١٩.

(٣) في إعراب القرآن ٤١٩/٣.

(٤) في معاني القرآن ٣٠٣/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤١٩/٣.

(٥) تهذيب اللغة ١٦/٣.

(٦) المحرر الوجيز ٤٧٢/٤، وزاد المسير ٥٦/٧.

(٧) في معاني القرآن ٣٠٣/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤١٩/٣.

(٨) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ١٨٦، وروايته:

ولذُّ كَطْعَمِ الصَّرْخَدِيِّ طَرَحْتُهُ  
عشية خمس القوم والعين عاشقه

والبیت ذکره مثل رواية المصنف الأزهری فی تهذیب اللغة ٤٠٩/١٤، والزمخشري في الكشاف =

فإنه يريد النوم. وقيل: «بَيْضَاء» أي: لم يعتصرها الرجال بأقدامهم. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي: لا تغتال عقولهم، ولا يُصيبهم منها مرضٌ ولا صُدَاعٌ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذْفَرُونَ﴾ أي: لا تذهبُ عقولهم بشربها<sup>(٢)</sup>؛ يقال: الخمرُ غَوْلُ للحلِّم، والحربُ غَوْلٌ للنفوس؛ أي: تذهبُ بها. ويقال: نُزِفَ الرجلُ يُنْزَفُ، فهو منزوفٌ ونزيفٌ، إذا سَكِرَ. قال امرؤ القيس:

وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمْشِي النَّزِيْدِ      فَيَضْرَعُهُ بِالْكَثِيْبِ الْبُهْرِ<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً:

نَزِيْفٌ إِذَا قَامَتْ لِوَجْهِ تَمَائِلَتْ      تُرَاشِي الْفَوَاذَ الرَّخْصَ أَلَّا تَخْتَرَا<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر:

فَلْتَمْتُ فَاها آخِذاً بِقُرُونِها      شُرْبَ النَّزِيْفِ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ<sup>(٥)</sup>  
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي<sup>(٦)</sup>؛ من أنزف القوم، إذا حان منهم النَّزْفُ، وهو السكر. يقال: أَحْصَدَ الزَّرْعُ، إذا حان حَصَادُهُ، وأَقْطَفَ الكَرْمُ، إذا حان قِطَافُهُ، وأَرَكَبَ المَهْرُ، إذا حان رُكوبُهُ. وقيل: المعنى: لا يُنْفِدُونَ شَرَابَهُمْ؛ لأنه دأبهم؛ يقال: أنزف الرجل، فهو منزوف، إذا فَنِيَتْ خمرُهُ. قال الحُطَيْثَةُ:

= ٣/٤٠٣. وصرخد: موضع ينسب إليه الشراب. اللسان (صرخد). قال الأزهرى: أراد: أنه لما دخل ديار أعدائه لم ينم حذاراً لهم.

(١) تفسير البغوي ٢٧/٤، وزاد المسير ٥٦/٧.

(٢) أخرجه الطبري ٥٣٥/١٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٥٦. قال شارحه: البهر: من الانبهار، وهو انقطاع النَّس.

(٤) ديوان امرئ القيس ص ٦١. الرخص: الناعم. القاموس (رخص). قال شارح الديوان: أي: تداري فوادها لتشتد عند المشي ولا تقتر.

(٥) البيت في الأغاني ١/١٩١ ضمن أبيات لعمر بن أبي ربيعة. وهو في اللسان (حشرج) وفيه: قال ابن بري: البيت لجميل بن معمر وليس لعمر بن أبي ربيعة. والنزيف: المحموم الذي مُنِعَ من الماء. والحشرج: الثَّقْرَةُ في الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو.

(٦) السبعة ص ٥٤٧ والتيسير ص ١٨٦.

لَعَمْرِي لئن أنزفتم أو صَحَوْتُمْ لَبئس النَّدامى كنتم آلَ أَبَجْرًا<sup>(١)</sup>  
 النحاس<sup>(٢)</sup>: والقراءة الأولى<sup>(٣)</sup> أبيضٌ وأصحُّ في المعنى؛ لأن معنى «يُنزفون» عند  
 جِلَّة أهل التفسير - منهم مجاهد<sup>(٤)</sup> - : لا تذهب عقولهم؛ فنفى الله عز وجل عن خمر  
 الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها، من الصُّداع والسُّكر. ومعنى «يُنزفون»  
 الصحيح فيه أنه يقال: أنزف الرجل إذا نَفَدَ شرابه، وهو يبعد أن يُوصَفَ به شرابُ  
 الجنة؛ ولكن مجازه أن يكون بمعنى: لا يَنفَدُ أبداً .  
 وقيل: «لَا يُنزِفُونَ» بكسر الزاي: لا يَسْكرون؛ ذكره الزجاج وأبو علي<sup>(٥)</sup> على ما  
 ذكره القشيري .

المهدوي: ولا يكون معناه: يَسْكرون؛ لأن قبله «لا فيها عَوْلٌ». أي: لا تغتال  
 عقولهم فيكون تكراراً؛ ويسوغ ذلك في «الواقعة»<sup>(٦)</sup> .

ويجوز أن يكون معنى «لا فيها عَوْلٌ» لا يمرضون؛ فيكون معنى «ولا هم عنها  
 يُنزفون» لا يَسْكرون أو لا ينفدُ شرابهم<sup>(٧)</sup>. قال قتادة: الغول وجعُ البطن. وكذا روى  
 ابنُ أبي نجیح عن مجاهد: «لا فيها عَوْلٌ» قال: لا فيها وجعُ بطن. الحسن: صُداع.  
 وهو قول ابن عباس «لا فيها عَوْلٌ»: لا فيها صُداع<sup>(٨)</sup>. وحكى الضحاك عنه أنه قال:

(١) لم نقف عليه في ديوان الحطيثة، ونسبه الطبري في تفسيره ٥٣٧/١٩، والجوهري في صحاحه  
 (نزف)، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٢/٤ للأبييرد الرياحي، والكلام بنحوه في معاني القرآن  
 للزجاج ٣٠٣/٤، والحجة لأبي علي الفارسي ٥٤/٦ - ٥٥، والنكت والعيون ٤٨/٥، وزاد المسير  
 ٥٧/٧، وكلهم أورد البيت شاهداً على أن أنزف بمعنى سَكِرَ.

(٢) في إعراب القرآن ٤١٩/٣ .

(٣) يعني قراءة: «يُنزفون» بفتح الزاي.

(٤) أخرجه الطبري ٥٣٦/١٩ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٠٣/٤، والحجة لأبي علي الفارسي ٥٥/٦ .

(٦) في تفسير الآية (١٩).

(٧) الكلام بنحوه في الحجة لأبي علي الفارسي ٥٥/٦ .

(٨) أخرج هذه الأقوال - ماعدا قول الحسن - الطبري ٥٣٢/١٩ - ٥٣٣ وقول الحسن ذكره البغوي في

في الخمر أربع خِصال: السُّكر والضُّداع والقيء والبول؛ فذكر الله خمر الجنة فنزَّهها عن هذه الخِصال<sup>(١)</sup>. مجاهد: داء. ابن كيسان: مَغْص. وهذه الأقوال متقاربة.

وقال الكلبي: «لا فيها عَوْلٌ» أي: إثم<sup>(٢)</sup>؛ نظيره: ﴿لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيرٌ﴾ [الطور: ٢٣]. وقال الشعبي والسدي وأبو عبيدة: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. ومنه قول الشاعر:

وما زالتِ الكأسُ تغتالُنا      وتذهبُ بالأولِ الأولِ<sup>(٣)</sup>  
أي: تصرعُ واحداً واحداً.

وإنما صرفَ الله تعالى السُّكر عن أهل الجنة لثلاث ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم .  
وقال أهل المعاني: العَوْلُ فسادٌ يلحق في خفاء. يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خُفية<sup>(٤)</sup>. ومنه العَوْلُ والغيلة: وهو القتل خُفية.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي: نساء قد قَصَرْنَ طرفهنَّ على أزواجهنَّ فلا ينظرن إلى غيرهم؛ قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم. عكرمة: «قاصرات الطَّرْفِ» أي: محبوساتٌ على أزواجهنَّ. والتفسير الأولُ أبين؛ لأنه ليس في الآية مقصورات، ولكن في موضع آخر: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ [الرحمن: ٧٢] يأتي بيانه<sup>(٥)</sup>.  
و«قاصرات» مأخوذ من قولهم: قد اقتصر على كذا، إذا اقتنع به وعدلَّ عن غيره؛ قال امرؤ القيس:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٥/٢٧٤.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٧.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٦٩، وقول السدي أخرجه الطبري ١٩/٥٣٤، والبيت نسبة الرازي في تفسيره ٢٦/١٣٧ لمطيع بن إياس، وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١٩/٥٣٢، والمححر الوجيز ٤/٤٧٢.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٢٠، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ١٩/٥٣٧.

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحَوِّلٌ من الذَّرِّ فَوْقَ الإِثْب منها لَأَثْرًا<sup>(١)</sup>  
ويروى: فوق الخد<sup>(٢)</sup>. والأوّل أبلغ. والإثب القميص، والمُحَوِّل: الصغير من  
الذر. وقال مجاهد أيضاً: معناه: لا يَغْرَنُ<sup>(٣)</sup>.

﴿عَيْنٌ﴾ عِظَامُ العيون، الواحدة عَيْنَاءٌ؛ وقاله السُّدي. مجاهد: «عَيْنٌ» حِسَانُ  
العيون<sup>(٤)</sup>. الحسن: الشديداً بياض العين، الشديداً سوادها<sup>(٥)</sup>. والأوّل أشهرُ في  
اللغة. يقال: رجلٌ أَعَيْنُ، واسع العين، بَيْنَ العَيْنِ، والجمع: عَيْنِ، وأصله فُعَلٌ  
بالضم، فكسرت العين؛ لثلاث تنقلب الواو ياء. ومنه قيل لبقر الوحش: عَيْنِ، والثور  
أَعَيْنُ، والبقرة عَيْنَاءٌ<sup>(٦)</sup>.

﴿كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ أي: مصون. قال الحسن وابن زيد: شُبَّهْنَ ببيض النِّعَامِ،  
تَكُنُّهَا النِّعَامَةُ بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيضٌ في صُفْرَةٍ، وهو أحسنُ ألوانِ  
النساء. وقال ابن عباس وابن جُبَيْر والسُّدي: شُبَّهْنَ ببطن البيض قبل أن يُقَشَّرَ وتَمَسَّهُ  
الأيدي. وقال عطاء: شُبَّهْنَ بالسَّحَاءِ الذي يكون بين القشرة العليا ولُبَابِ البَيْضِ<sup>(٧)</sup>.  
وسَحَاءَةٌ كل شيء قَشْرُهُ، والجمع سَحَاءٌ؛ قاله الجوهري<sup>(٨)</sup>. ونحوه قول الطبري<sup>(٩)</sup>،  
قال: هو القِشْرُ الرقيق، الذي على البيضة بين ذلك. ورَوَى نحوه عن النبي ﷺ<sup>(١٠)</sup>.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٦٨ .

(٢) ذكره بهذه الرواية الماوردي في النكت والعيون ٤٨/٥ ، والكلام السالف فيه .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٢٧/٦ .

(٤) النكت والعيون ٤٨/٥ ، وزاد المسير ٥٨/٧ ، وقول السُّدي أخرجه الطبري ٥٣٩/١٩ .

(٥) مجمع البيان ٥٧/٢٣ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٠/٣ ، والصحاح (عين).

(٧) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٥٤٠/١٩ ، والنكت والعيون ٤٨/٥ ، وتفسير البغوي ٢٧/٤ ، وزاد  
المسير ٥٨/٧ .

(٨) في الصحاح (سحا).

(٩) في تفسيره ٥٤١/١٩ .

(١٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، بلفظ: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ =

والعربُ تُشَبَّهُ المرأةُ بالبيضةِ لِصفائِها وبياضِها<sup>(١)</sup>؛ قال امرؤ القيس:

وبيضةٍ خِذِرٍ لا يُرامُ خِباؤها      تَمَتَّعْتُ من لَهوِها غيرَ مُعَجَّلٍ<sup>(٢)</sup>

وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة: كأنه بيضُ النعامِ المُعْطَى بالريش<sup>(٣)</sup>. وقيل: المكنون: المصون عن الكسر؛ أي: إنهن عذارى. وقيل: المراد

بالبيض اللؤلؤ<sup>(٤)</sup>؛ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣] أي: في أصدافه؛ قاله ابن عباس أيضاً. ومنه قول الشاعر:

وهي بيضاءٌ مثلُ لؤلؤةِ العواصِ مِيزَتْ من جَوْهَرِ مَكْنُونٍ<sup>(٥)</sup>

وإنما ذكر المكنون والبيض جمع؛ لأنه ردُّ النعت إلى اللفظ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ٥٥ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي

فَرِيضٍ ٥٦ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٧ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِيُونًا ٥٨

قَالَ هَلْ أَنْتَ مُطَّلِعُونَ ٥٩ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٦٠ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ

لَتَرِدِينَ ٦١ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧ أَمَّا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ٥٨ إِلَّا

مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ٥٩ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٠ لِمِثْلِ هَذَا

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ٦١ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: يتفاوضون فيما بينهم

= قال: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةُ الْجِلْدَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الَّتِي تَلِي الْقَشْرَةَ». وفي إسناده سليمان ابن أبي كريمة. ضَعَفَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ ابْنُ عَدِي: عَامَةٌ أَحَادِيثُهُ مَنَاقِيرٌ، مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ٢/٢٢١.

(١) معاني القرآن للنحاس ٦/٢٨، و تفسير البغوي ٤/٢٧، وزاد المسير ٧/٥٨، وفيهما: والعرب تُشَبَّهُ المرأةُ ببيضة النعام.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٣، والبيت من معلقته.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٢٠.

(٤) أخرجه الطبري ١٩/٥٤١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قائله أبو دهل، وهو في تفسير الطبري ١٩/٥٤١، والنكت والعيون ٥/٤٨، وخزانة الأدب (طبعة دار

صادر) ٣/٢٨٠ وعند الطبري والبغدادي: زهراء، بدل: بيضاء.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٧.

أحاديثهم في الدنيا. وهو من تمام الأنس في الجنة. وهو معطوفٌ على معنى «يُطاف عليهم» المعنى: يشربون فيتحدثون على الشُّراب كعادة الشُّراب. قال بعضهم:

وما بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ  
فَيَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّا جَرَى لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ إِلَّا أَنَّهُ جِيءَ  
بِهِ مَاضِيًا عَلَى عَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِخْبَارِهِ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من أهل الجنة: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ أي: صديقٌ مُلَازِمٌ ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لِيَنَّ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أي: بالمبعث والجزاء. وقال سعيد بن جبیر: قرينه شريكه<sup>(٢)</sup>. وقد مضى في «الكهف» ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسميهما مستوفى عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الآية: ٢٢]. وفيهما أنزل الله جلَّ وعزَّ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ إلى ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

وقيل: أراد القرين قرينه من الشياطين، كان يُوسوس إليه بإنكار البعث<sup>(٣)</sup>.

وقرئ: «أَتِنَّكَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ» بتشديد الصاد. رواه علي بن كَيْسَةَ عن سليم عن حمزة<sup>(٤)</sup>. قال النحاس<sup>(٥)</sup>: ولا يجوز «أَتِنَّكَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ» لأنه لا معنى للصدقة هاهنا.

وقال القشيري: وفي قراءة عن حمزة: «أَتِنَّكَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ» بتشديد الصاد.

(١) تفسير الرازي ١٣٨/٢٦، والبيت فيه دون نسبة.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٩/٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٥٩/٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) النكت والعيون ٤٩/٥، وتفسير البغوي ٢٨/٤، وزاد المسير ٥٩/٧ عن مجاهد.

(٤) وهي غير المشهورة عن حمزة، والمشهورة عنه كقراءة الجماعة، وذكرها عن حمزة غير المصنف ابن الجوزي في زاد المسير ٥٩/٧ لكن من طريق بكر بن عبد الرحمن القاضي عنه. وعلي بن كَيْسَةَ روى القراءة عن سليم، وهو ابن عيسى بن سليم أبو محمد الحنفي، مولا هم، الكوفي، المقرئ، توفي سنة ١٨٨ هـ). الإكمال لابن ماكولا ١٥٧/٧ - ١٥٨، وطبقات القراء ٣١٨/١.

(٥) في إعراب القرآن ٤٢١/٣.

واعترض عليه بأن هذا من التصديق لا من التصديق. والاعتراض باطل؛ لأن القراءة إذا ثبتت عن النبي ﷺ فلا مجال للطعن فيها. فالمعنى «أنتك لمن المصدقين» بالمال طلباً في ثواب الآخرة.

﴿لَوْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْمَانًا لَمَدِينُونَ﴾ أي: معجزيون مُحاسبون بعد الموت .

ف ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾. وقيل: هو من قول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مُطَّلِعُونَ إلى النار لِنَتَظَرَ كيف حال ذلك القرين<sup>(١)</sup>. وقيل: هو من قول الملائكة. وليس «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» باستفهام، إنما هو بمعنى الأمر، أي: إَطَّلِعُوا؛ قال ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup> وغيره. ومنه لَمَّا نزلت آية الخمر قام عمرُ قائماً بين يدي النبي ﷺ، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: يا رب، بيانا أشفى من هذا في الخمر. فنزلت: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١] قال: فنادى عمرُ: انتهينا يا ربنا<sup>(٣)</sup>.

وقرأ ابن عباس: «هل أنتم مُطَّلِعُونَ» بإسكان الطاء خفيفة «فَأُطَّلِعَ»، بقطع الألف مخففة<sup>(٤)</sup>، على معنى: هل أنتم مُقبِلون فأقبل.

قال النحاس<sup>(٥)</sup>: «فَأُطَّلِعَ قَرَأَهُ» فيه قولان: أحدهما أن يكون فعلاً مستقبلاً، معناه: فأطلع أنا، ويكون منصوباً على أنه جوابُ الاستفهام. والقول الثاني: أن يكون فعلاً ماضياً، ويكون أَطَّلَعَ وأُطَّلِعَ واحداً. قال الزجاج<sup>(٦)</sup>: يُقَالُ: طَلَعَ وَأُطَّلِعَ وَأَطَّلَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وقد حُكِيَ: «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» بكسر النون، وأنكره أبو حاتم<sup>(٧)</sup> وغيره.

(١) تفسير البغوي ٢٨/٤.

(٢) ياقوتة الصراط ص ٤٢٧ - ٤٢٨، وما بعده منه.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٨)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، وسلف ٥٧/٨.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢١٩/٢.

(٥) في إعراب القرآن ٤٢٣/٣.

(٦) في معاني القرآن ٣٠٤/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٢/٣.

(٧) نسبها أبو حيان في البحر ٣٦١/٧ لعمار بن أبي عمار، وإنكار أبي حاتم ذكره ابن جني في المحتسب.

النحاس<sup>(١)</sup>: وهو لحنٌ لا يجوز؛ لأنه جمعٌ بين النون والإضافة، ولو كان مضافاً لكان: هل أنتم مُظْلِعِي، وإن كان سيبويه والفراء قد حكيا مثله، وأنشدا:  
هُمُ الْقَائِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ إِذَا مَا خَشَوْا مِنْ مُحَدِّثِ الْأَمْرِ مُعْظَمًا<sup>(٢)</sup>  
وأنشد الفراء: والفاعلونه. وأنشد سيبويه وحده:

وَلَمْ يَرْتَفِقِ وَالنَّاسِ مُحْتَضِرُونَ<sup>(٣)</sup>

وهذا شاذٌ خارجٌ عن كلام العرب<sup>(٤)</sup>، وما كان مثل هذا لم يُحْتَجَّ به في كتاب الله عز وجل، ولا يدخل في الفصح. وقد قيل في توجيهه: إنه أجرى اسمَ الفاعل مجرى المضارع لُقْرَبه منه، فجرى «مُظْلِعُونَ» مجرى يُظْلِعُونَ. ذكره أبو الفتح عثمان بن جني<sup>(٥)</sup> وأنشد:

أَرَيْتَ<sup>(٦)</sup> إِنْ جِئْتُ بِهِ أُمْلُودًا مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُودًا  
أَقَائِلُنَّ أَحْضِرُوا<sup>(٧)</sup> الشُّهُودًا

فأجرى أقائلن مجرى أتقولن. وقال ابن عباس في قوله تعالى: «هَلْ أَنْتُمْ مُظْلِعُونَ فَاطَلَعَ فَرَاءً» إِنَّ فِي الْجَنَّةِ كَوَىٰ يَنْظُرُ أَهْلُهَا مِنْهَا إِلَى النَّارِ وَأَهْلِهَا<sup>(٨)</sup>. وكذلك قال كعب

(١) في إعراب القرآن ٤٢٢/٣.

(٢) الكتاب لسيبويه ١٨٨/١، ومعاني القرآن للفراء ٣٨٦/٢.

(٣) الشطر الثاني كما في الكتاب ١٨٨/١: جميعاً وأيدي المعتفين زواهقه.

(٤) هذا قول النحاس، وقد قال قبله: أما البيتان اللذان أنشدهما سيبويه وشركه الفراء في أحدهما فلا يُعرف من قائلهما، ولا تثبت بهما حجة، اهـ. ونقل البغدادي في خزنة الأدب ٢٧٠/٤ عن النحاس قوله: وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط؛ لأنه قد قال نصاً: وزعموا أنه مصنوع، فهو عنده مصنوع لا يجوز، فكيف يلزمه منه غلط؟!

(٥) المحتسب ٢٢٠/٢.

(٦) في النسخ: رأيت، والمثبت من الخزنة ٤٢٠/١١، قال البغدادي: أصله: رأيت، بمعنى: أخبرني، حذف الهمة تخفيفاً.

(٧) في الخزنة: أحضري، قال البغدادي: رواه العيني: أحضروا، بواو الجمع، ولا وجه له. والأملود: الناعم. وهذا من رجز أورده السكري في أشعار هذيل لرجل منهم.

(٨) تفسير البغوي ٢٨/٤، وزاد المسير ٦٠/٧.

فيما ذكر ابن المبارك، قال: إن بين الجنة والنار كُوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظرَ إلى عدوِّ كان له في الدنيا اطلع من بعض الكُوى؛ فقال الله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسط النار والحسك حواليه؛ قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>.

ويقال: تعبتُ حتى انقطع سَوَائِي: أي وسطي. وعن أبي عُبيدة: قال لي عيسى بن عمر: كنتُ أكتبُ يا أبا عُبيدة حتى ينقطع سَوَائِي<sup>(٢)</sup>.

وعن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله جلَّ وعزَّ عرفه إِيَّاه لما عرفه، لقد تغيرَ جِبرُهُ وسِبرُهُ<sup>(٣)</sup>. فعند ذلك يقول: ﴿تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ «إِنْ» مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ دَخَلْتُ عَلَى كَادٍ كَمَا تَدْخُلُ عَلَى كَانٍ. ونحوه ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢] واللامُ هي الفارقةُ بينها وبين النافية<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في النار. وقال الكسائي: «لَتُرْدِينِ» أي: لَتُهْلِكَنِي، والرَّدَى الهلاك. وقال المبرد: لو قيل: «لَتُرْدِينِ» لتوقعني في النار لكان جائزاً<sup>(٥)</sup>. «وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي» أي: عصمته وتوفيقه بالاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من القرين السوء. وما بعد «لولا» مرفوعٌ بالابتداء عند سيبويه، والخبرُ محذوفٌ <sup>بالحذف</sup> «لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» قال الفراء<sup>(٦)</sup>: أي: لَكُنْتُ مَعَكَ فِي النَّارِ مُحْضَرًا. وأحضر لا يُستعمل مطلقاً إلا في الشرِّ؛ قاله الماوردي<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ وقرئ: «بِمَائِتِينَ»<sup>(٨)</sup>، والهمزة في «أفما»

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٣/٣.

(٢) مجاز القرآن ١٧٠/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٥٤٨/١٩ عن قتادة عن مطرف بن عبد الله، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٥٠/٥ عن قتادة. وقوله: جبره وسبره، يعني: لونه وهيبته. الصحاح (حبر).

(٤) الكشاف ٣٤١/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٨٤/٣.

(٦) نقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٤/٣، وما قبله منه.

(٧) في النكت والعيون ٥٠/٥.

(٨) قرأ بها زيد بن علي كما في البحر المحيط ٣٦٢/٧.

للاستفهام دخلت على فاء العطف، والمعطوف محذوف، معناه: نحن مَحَلَّدُونَ مُنْعَمُونَ فما نحن بمَيِّتِينَ ولا مُعَذِّبِينَ<sup>(١)</sup>؟

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ يكون استثناءً ليس من الأول، ويكون مصدرًا؛ لأنه منعوت<sup>(٢)</sup>. وهو من قول أهل الجنة للملائكة حين يُذَبِّح الموت، «ويقال: يا أهل الجنة، خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار، خلودٌ ولا موت»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو من قول المؤمن على جهة الحديث بنعمة الله في أنهم لا يموتون ولا يُعَذَّبُونَ؛ أي: هذه حالنا وصفتنا.

وقيل: هو من قول المؤمن توبيخاً للكافر لِمَا كان يُنكره من البعث، وأنه ليس إلا الموت في الدنيا. ثم قال المؤمن مُشيراً إلى ما هو فيه: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٤)</sup> يكون «هو» مبتدأ، وما بعده خبرٌ عنه، والجملة خبرٌ «إن». ويجوز أن يكون «هو» فاصلاً<sup>(٥)</sup>. ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فَمَنْ يَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكونَ من كلام المؤمن لِمَا رأى ما أَعَدَّ اللهُ له في الجنة وما أعطاه قال: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا﴾ العطاء والفضل ﴿فَمَنْ يَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾. نظير ما قال له الكافر: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]. وَيَحْتَمِلُ أن يكون من قول الملائكة. وقيل: هو من قول الله عز وجل لأهل الدنيا؛ أي: قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء، و«لمثل هذا» الجزاء ﴿فَمَنْ يَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

النحاس: وتقدير الكلام - والله أعلم - : فَمَنْ يَعْمَلِ الْعَمَلُونَ لمثل هذا. فإن قال

(١) الكشاف ٣/ ٣٤١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٤.

(٣) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١١٠٦٦)، والبخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، وأوله: «يُؤْتَى بالموت كهيفة كبش أملح... فَيُذَبِّحُ»، وسلف بتمامه ٤٥٥/١٣.

(٤) زاد المسير ٧/ ٦٠ - ٦١.

(٥) إعراب النحاس ٣/ ٤٢٤.

(٦) زاد المسير ٧/ ٦١ بنحوه.

قائل: الفاء في العربية تدلُّ على أن الثاني بعد الأول، فكيف صار ما بعدها يُنَوَّى به التقديم؟ فالجواب أن التقديم كمثل التأخير؛ لأن حَقَّ حروفِ الخفض وما بعدها أن تكون متأخرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ﴾ ٦١ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ ٦٢ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ٦٣ ﴿طَلَعَهَا كَانَتْ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ ٦٤ ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا مِنْ حِمِيمٍ﴾ ٦٦ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِي الْجَحِيمِ﴾ ٦٧

قوله تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ﴾ مبتدأ وخبر، وهو من قول الله جل وعز: ﴿نُزُلًا﴾ على البيان؛ والمعنى: أنعيم الجنة خيرٌ نُزُلًا ﴿أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ﴾ خيرٌ نُزُلًا؟ والنُّزُل في اللغة: الرُّزْق الذي له سَعَة. النحاس<sup>(٢)</sup>: وكذا النَّزْل والنُّزْل<sup>(٣)</sup>، إلا أنه يجوز أن يكون النَّزْل بإسكان الزاي لغة، ويجوز أن يكون أصله النَّزْل [فَحُذِفَتِ الضَّمَّة لِثِقَلِهَا]؛ ومنه: أقيم للقوم نُزْلهم. واشتقاقه أنه الغذاء الذي يصلح أن ينزلوا معه ويُقيموا فيه. وقد مضى هذا في آخر سورة «آل عمران»<sup>(٤)</sup>. وشجرة الرَّقْم مشتقة من الترقم، وهو البلع على جهد لكرهتها وننتها<sup>(٥)</sup>.

قال المفسرون: وهي في الباب السادس، وأنها تحيا بِلَهَبِ النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء<sup>(٦)</sup>؛ فلا بدُّ لأهل النار من أن ينحدرَ إليها مَنْ كان فوقها فيأكلون منها، وكذلك يصعد إليها من كان أسفل.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٢٤.

(٢) في إعراب القرآن ٣/٤٢٤، وما قبله منه، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٣) قوله: النَّزْل، ليست في (م).

(٤) ٥/٤٨٣ - ٤٨٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٢٥.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥١/٥ عن يحيى بن سلام.

واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا. ومن قال بهذا اختلفوا فيها؛ فقال قطرب: إنها شجرة مَرَّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: بل هو كلُّ نبات قاتل. القول الثاني: إنها لا تُعرف في شجر الدنيا. فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قالت كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة. فقدم عليهم رجلٌ من إفريقية، فسأله فقال: هو عندنا الزُّبد والتَّمَر. فقال ابن الزُّبَيْر: أكثر الله في بيوتنا الزُّقوم. فقال أبو جهل لجاريته: زُقمينا؛ فأتته بزُّبد وتمر. ثم قال لأصحابه تزقّموا؛ هذا الذي يُخوفنا به محمد؛ يزعم أن النار تُتبتُّ الشجر، والنار تُحرق الشجر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ أي: المشركين، وذلك أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر؟ وقد مضى هذا المعنى في «سبحان»<sup>(٢)</sup>. واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ﴾ [المدر: ٣٠]: ما الذي يُخصّص هذا العدد؟ حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا، فاكفوني الباقيين<sup>(٣)</sup>. فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدر: ٣١] والفتنة الاختبار، وكان هذا القول منهم جهلاً، إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجراً من جنسها لا تأكله النار، كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار.

وقيل: هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة، حتى حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخلله الأرواح، وحملوا وزن الأعمال والصراط واللوح والقلم على معانٍ زورواها في أنفسهم، دون ما فهمه المسلمون من موارد

(١) النكت والعيون ٥٠/٥ - ٥١. وخبر أبي جهل أخرجه الطبري ٥٥٢/١٩ عن السدي، وسلف قوله وقول ابن الزبيرى ١١١/١٣ - ١١٢.

(٢) ١١١/١٣.

(٣) هو أبو الأشد الجمحي، وسيأتي خبره في تفسير الآية (٣٠) من سورة المدر.

الشَّرْع، وإذا ورد خبرُ الصادق بشيءٍ موهوم في العقل، فالواجب تصديقه وإن جاز أن يكون له تأويل، ثم التأويل في موضع إجماع المسلمين على أنه تأويلٌ باطلٌ لا يجوز، والمسلمون مُجمعون على الأخذِ بهذه الأشياء من غير مصير إلى علم الباطن وقيل: إنها فتنة، أي: عقوبة للظالمين؛ كما قال: ﴿ذُوقُوا فَنَتَكُزْ هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ سَعْتِكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر النار، ومنها منشؤها، ثم هي متفرغة في جهنم<sup>(١)</sup>. ﴿طَلَعَهَا﴾ أي: ثمرها؛ سُمِّيَ طَلَعًا لِطُلُوعِهِ ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قيل: يعني: الشياطين بأعيانهم، شَبَّهَهَا بِرُءُوسِهِمْ لِجَبْهِهِمْ، ورؤوس الشياطين متصوِّرة في النفوس وإن كان غير مرئي. ومن ذلك قولهم لكل قبيح: هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة: هي كصورة ملك. ومنه قوله تعالى مُخْبِرًا عن صَواحِبِ يوسُف: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وهذا تشبيه تخيلي؛ روي معناه عن ابن عباس والقرظي<sup>(٢)</sup>. ومنه قول امرئ القيس:

وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ<sup>(٣)</sup>

وإن كانت الغول لا تُعرَف؛ ولكن لما تصوِّر من قُبْحِهَا فِي النُّفُوسِ<sup>(٤)</sup>. وقد قال الله تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فمردة الإنس شياطينٌ مرئية. وفي الحديث الصحيح: «وَلَكَّأَنَّ نَحْلَهَا رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ»<sup>(٥)</sup> وقد ادعى كثيرٌ من العرب رؤية الشياطين والغيلان.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦٣/٧ عن الحسن بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٢٩/٤ بنحوه.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٣٣، وصدرة: أَيْقُتْلَنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي. قال شارحه: الْمَشْرِفِيُّ: سيف نسب إلى قرى بالشام يقال لها: المشارف. وأراد بالمسنونة الزُّرُق: سهاماً محدَّدة الأزجَّة صافية، شَبَّهَهَا بِأَنْيَابِ الْأَعْوَالِ تَشْبِيحًا لَهَا.

(٤) النكت والعيون ٥١/٥ - ٥٢ بنحوه.

(٥) قطعة من حديث سِخْرِ النَّبِيِّ ﷺ أخرجه أحمد (٢٤٣٠٠)، والبخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال الزجاج والفرّاء<sup>(١)</sup>: الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسماً. قال الراجز وقد شبه المرأة بحية لها عُرف: **عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلَفَ كَمَثَلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ** الواحدة حَمَاطة<sup>(٢)</sup>. والأعراف: الذي له عُرف.

وقال الشاعر يَصِفُ ناقته:

**تُلاعِبُ مَنْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمَّجُ شَيْطَانِ بَدِي خِرْوَعٍ قَفْرٍ**  
التَّعَمَّجُ: الاعوجاج في السير. وسهم عَمُوج: يتلَوَّى في ذهابه. وتَعَمَّجَتِ الحية: إذا تَلَوَّتْ في سَيْرِهَا. وقال يَصِفُ زمام الناقة:

**تُلاعِبُ مَنْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمَّجُ شَيْطَانِ بَدِي خِرْوَعٍ قَفْرٍ<sup>(٣)</sup>**  
وقيل: إنما شبه ذلك بِنَبْتِ قَبِيحٍ فِي الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: الْأَسْتَنُ وَالشَّيْطَانُ. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: وليس ذلك معروفاً عند العرب. الزمخشري<sup>(٥)</sup>: هو شجرٌ خَشِنٌ مُتِنٌّ مُرٌّ مُنْكَرُ الصُّورَةِ يُسَمَّى ثَمْرُهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ. النحاس<sup>(٦)</sup>: وقيل: الشياطين ضربٌ من الحيات قباح.

﴿فَأَنبَأَهُمْ لِأَكُلُونَ مِنهَا فَمَالَتُونَ مِنهَا الْبُطُونَ﴾ فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رِزْقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وقال في «الغاشية»: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن صَرِيحٍ﴾ [الآية: ٦] وسيأتي.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: بعد الأكل من الشجرة ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الشَّوْبُ

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٣٠٦، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/٣٨٧.

(٢) الصحاح (حط)، والرجز فيه وفي معاني القرآن للفرّاء ٢/٣٨٧، وتفسير الطبري ١٩/٥٥٤ دون نسبة. وامرأة عَنْجَرِدٌ: خبيثة سية الخلق. اللسان (عنجرد). والحَمَاطُ: شجر شبيهة بالتين أحب شجر إلى الحيات. القاموس (حط).

(٣) الصحاح (عمج)، والبيت فيه دون نسبة، ونسبه الجاحظ في الحيوان ٤/١٣٣ لطرفة.

(٤) في معاني القرآن ٦/٣٤، وما قبله منه.

(٥) في الكشف ٣/٣٤٢.

(٦) في معاني القرآن ٦/٣٥.

الخلط، والشُّوب والشُّوب لغتان<sup>(١)</sup>، كالفقر والفقر، والفتح أشهر. قال الفراء<sup>(٢)</sup>:  
شَابَ طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء، يشوبهما شوباً وشيابة. فأخبر أنه يُشاب لهم.  
والحميم: الماء الحار، ليكون أشنع؛ قال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾  
[محمد: ١٥].

السدي: يُشاب لهم الحميم بغساق أعينهم وصيد من قيعهم ودمائهم<sup>(٣)</sup>. وقيل:  
يُمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم؛ تغليظاً  
لعذابهم وتجديداً<sup>(٤)</sup> لبلائهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ﴾ قيل: إنَّ هذا يدلُّ على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم  
في عذابٍ في غير النار، ثم يُردُّون إليها. وقال مقاتل: الحميم خارجُ الجحيم، فهم  
يُوردون الحميم لشره، ثم يُردُّون إلى الجحيم؛ لقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ  
بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤].

وقرأ ابن مسعود: «ثُمَّ إِنَّ مُنْقَلَبَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ»<sup>(٥)</sup> وقال أبو عبيدة: يجوز أن  
تكون «ثم» بمعنى الواو. القشيري: ولعلَّ الحميمَ في موضع من جهنم على طرفٍ  
منها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاتِرِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ  
صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٠﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ أي: صادفوهم كذلك فاقْتَدَوْا بهم ﴿فَهُمْ

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٠٧/٤، وقال: الشُّوب المصدر، والشُّوب الاسم.

(٢) في معاني القرآن ٣٨٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٥/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٥٥٥/١٩ عن ابن زيد.

(٤) في النكت والعيون ٥٢/٥ (والكلام منه): وتشديداً.

(٥) تفسير الطبري ٥٥٦/١٩، والمحرم الوجيز ٤٧٦/٤، وتفسير البغوي ٢٩/٤.

عَلَىٰ مَائِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿١﴾ أي: يُسرعون؛ عن قتادة. وقال مجاهد: كهيئة الهرولة<sup>(١)</sup>. قال الفراء<sup>(٢)</sup>: الإهراعُ الإسراع برعدة. وقال أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>: «يُهْرَعُونَ» يُسْتَحْتُونَ من خَلْفِهِمْ. ونحوه قول المبرد. قال: المُهْرَعُ المُسْتَحْتُ؛ يقال: جاء فلان يُهْرَعُ إلى النار إذا استحثه البردُ إليها<sup>(٤)</sup>. وقيل: يُزْعَجون من شِدَّةِ الإسراع؛ قاله الفضل<sup>(٥)</sup>. الزجاج<sup>(٦)</sup>: يقال: هُرِعَ وأُهْرِعَ، إذا استحثَّ وأزعج.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَلَّى قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ أي: رُسُلًا أنذروهم العذاب فكفروا. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: آخر أمرهم. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الذين استخلصهم الله من الكفر. وقد تقدّم<sup>(٧)</sup>. ثم قيل: هو استثناء من «المُنذِرِينَ». وقيل: هو من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَلَّى قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ من النداء الذي هو الاستغاثة؛ ودعا، قيل: بمسألة هلاك قومه. فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٩)</sup> [نوح: ٢٦].

(١) أخرجهما الطبري ٥٥٧/١٩ .

(٢) في معاني القرآن ٣٨٧/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٥/٣ .

(٣) في مجاز القرآن ١٧١/٢ .

(٤) إعراب القرآن ٤٢٥/٣ .

(٥) ذكره النحاس في معاني القرآن ٣٦/٦ دون نسبة.

(٦) في معاني القرآن ٣٠٧/٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٦/٣ .

(٧) ٣١٨/١١ و ٢١٢/١٢ .

(٨) تفسير الرازي ١٤٥/٢٦ .

(٩) تفسير الطبري ٥٥٩/١٩ .

﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ قال الكسائي: أي: فلننعم المُلجِبُونَ له كُنَّا<sup>(١)</sup>. ﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ يعني أهل دينه؛ وهم من آمن معه؛ وكانوا ثمانين على ما تقدّم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَمِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الغرق.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِينَ﴾ قال ابن عباس: لما خرج نوحٌ من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه؛ فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال سعيد بن المسيّب: كان ولد نوح ثلاثة، والناس كلهم من ولد نوح: فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى. وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب: السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقيبط والبربر وغيرهم. ويافث أبو الصقالبة والترك والأبر<sup>(٤)</sup> والخزر وأجوج ومأجوج وما هنالك. وقال قوم: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل<sup>(٥)</sup>؛ بدليل قوله: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]. وقوله: ﴿قِيلَ يَتَّخِذُ أَهْلَ عِثْطٍ بَنَاتِهِ إِسْكَانًا لِّذُرِّيَّتِهِ وَعِلًّا لِّمَنْ يَرْتَمُونَ﴾ [هود: ٤٨] فعلى هذا معنى الآية: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِينَ﴾ دون ذرية من كفر؛ فإننا أغرقنا أولئك.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: تركنا عليه ثناءً حسناً في كل أمة، فإنه مُحَبَّبٌ إلى الجميع؛ حتى إن في المجوس من يقول: إنه أفريدون<sup>(٦)</sup>. رُوي معناه عن مجاهد وغيره.

وزعم الكسائي أن فيه تقديرين: أحدهما: ﴿وَرَزَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقال: ﴿سَلَّئُ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٦/٣.

(٢) ١١٧/١١.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥٣/٥، والبغوي في تفسيره ٣٠/٤.

(٤) كذا في النسخ: الأبر، ولم تقف على من ذكر أمة بهذا الاسم من أبناء يافث. وقول سعيد بن المسيّب هذا ذكره البغوي في تفسيره ٣٠/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤٧٧/٤ بمعناه، وقال ابن عطية: والأول أشهر عند علماء الأمة.

(٦) نسبه الطبري في تاريخه ٢١١/١ لبعض نسابي الفرس.

عَلَى نُوحٍ ﴿١﴾ أي: تركنا عليه هذا الثناء الحسن. وهذا مذهب أبي العباس المبرّد<sup>(١)</sup>. أي: تركنا عليه هذه الكلمة باقية؛ يعني: يُسَلِّمون عليه تسليماً ويدعون له؛ وهو من الكلام المَحْكِي؛ كقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]<sup>(٢)</sup>.

والقول الآخر: أن يكون المعنى: وأبقينا عليه؛ وتمَّ الكلام، ثم ابتداءً فقال: «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ» أي: سلامة له من أن يُذكر بسوء «في الآخرين». قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود: «سلاماً» منصوب بـ «تركنا» أي: تركنا عليه ثناءً حسناً سلاماً<sup>(٣)</sup>.

وقيل: «في الآخرين» أي: في أمة محمد ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقيل: في الأنبياء إذ لم يُبعث بعده نبيٌّ إلا أمر بالافتداء به؛ قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

وقال سعيد بن المسيّب: وبلغني أنه من قال حين يُمسي: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْغَامِينِ﴾ لم تُلدغه عقرب. ذكره أبو عمر في «التمهيد»<sup>(٥)</sup>. وفي «الموطأ»: عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا فَلِيَقْل: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَجِلَ»<sup>(٦)</sup>. وفيه: عن أبي هريرة أن رجلاً من أسلم قال: ما نمتُ هذه الليلة؛ فقال رسول الله ﷺ: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ» فقال: لَدَغْتَنِي عَقْرَبٌ؛ فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ قَلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٧/٣.

(٢) يعني كقولك: قرأت: «سورة أنزلناها». الكشاف ٣/٣٤٣، والدر المصون ٩/٣١٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٧/٣، وقراءة ابن مسعود ذكرها أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٧/٤.

(٤) مجمع البيان ٦٥/٢٣.

(٥) ٢٤١/٢١.

(٦) الموطأ ٢/٩٧٨، وأخرجه أحمد (٢٧١٢٢)، ومسلم (٢٧٠٨).

(٧) الموطأ ٢/٩٥١، وأخرجه أحمد (٨٨٨٠)، ومسلم (٢٧٠٩).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ بِحُزْنِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نُبقي عليهم الثناء الحسن. والكاف في موضع نصب؛ أي: جزاء كذلك. ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا بيان إحسانه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: مَنْ كَفَرَ. وجمعه آخر<sup>(١)</sup>. والأصل فيه أن يكون معه «من» إلا أنها حُذفت؛ لأن المعنى معروف، ولا يكون آخر إلا قبله شيء من جنسه. و«ثم» ليس للتراخي هاهنا، بل هو لتعدد النعم؛ كقوله: ﴿أَوْ وَسَكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ ثُمَّ كَانِ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٦-١٧] أي: ثم أخبركم أنني قد أغرقت الآخرين، وهم الذين تأخروا عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ٨٧ ﴿إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٨ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ٨٩ ﴿أَفَيْكَا ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ﴾ ٩٠ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩١ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٩٢ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ٩٣ ﴿فَنُودُوا عَنْهُ مُدْرِيْنَ﴾ ٩٤

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس: أي: من أهل دينه. وقال مجاهد: أي: على منهاجه وسنته<sup>(٢)</sup>. قال الأصمعي: الشيعة الأعوان، وهو مأخوذ من الشياخ، وهو الحطب الصغار الذي يُوقد مع الكبار حتى يستوقد. وقال الكلبي والفراء<sup>(٣)</sup>: المعنى: وإن من شيعة محمد لإبراهيم. فالهاء في «شيعة» على هذا لمحمد عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup>. وعلى الأول لنوح، وهو أظهر؛ لأنه هو المذكور أولاً، وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان: هود وصالح، وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وست مئة وأربعون سنة؛ حكاه الزمخشري<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: مُخلص من الشرك والشك. وقال

(١) كذا في النسخ، والصواب: الآخرين جمع آخر. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٤٢٧/٣.

(٢) أخرجهما الطبري ٥٦٤/١٩.

(٣) في معاني القرآن ٣٨٨/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥٤/٥، وما قبله منه.

(٤) قال الشوكاني في فتح القدير ٤٠١/٤: ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق.

(٥) في الكشف ٣٤٤/٣.

عوف الأعرابي: سألتُ محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: الناصحُ لله عز وجل في خلقه<sup>(١)</sup>.

وذكر الطبري عن غالب القَطَّان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين أنه كان يقول للحجاج: مسكين أبو محمد، إن عذَّبه الله فبذنبه، وإن غَفَرَ له فهنيئاً له، وإن كان قلبه سليماً فقد أصاب الذنوبَ من هو خير منه. قال عوف: فقلتُ لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلمَ أن الله حقٌّ، وأن الساعةَ قائمة، وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور<sup>(٢)</sup>. وقال هشام بن عروة: كان أبي يقول لنا: يا بني، لا تكونوا لَعَّائِينَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَلْعَنَ شَيْئاً قَطَّ، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>. وَيَحْتَمِلُ مَجِيئَهُ إِلَى رَبِّهِ وَجْهَيْنِ: أحدهما عند دعائه إلى توحيدهِ وطاعته، الثاني: عند إلقائه في النار<sup>(٤)</sup>.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ وهو آزر، وقد مضى الكلام فيه<sup>(٥)</sup>. ﴿وَقَوِيماً مَّاذَا تَعْبُدُونَ﴾ تكون «ما» في موضع رفع بالابتداء و«ذا» خبره. ويجوز أن تكون «ما» و«ذا» في موضع نصب بـ «تعبدون». ﴿أَفَنُكَّا﴾ نصب على المفعول به؛ بمعنى: أتريدون إفاكاً. قال المبرد: والإفك أسوأُ الكذب، وهو الذي لا يثبتُ ويضطرب، ومنه ائتفكتُ بهم الأرض. ﴿ءِالْهَةَ﴾ بدل من إفاك<sup>(٦)</sup>.

﴿دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أي: تعبدون. ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: أتريدون آلهةً من دون الله آفكين<sup>(٧)</sup>. ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ما ظنُّكم به إذا لقيتموه وقد عبَدتم

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٧/٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/١٩٠.

(٣) أخرجه الطبري ٥٦٥/١٩.

(٤) النكت والعيون ٥٥/٥.

(٥) ٤٣٢/٨ وما بعدها.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٨/٣.

(٧) الكشف ٣٤٤/٣.

غيره<sup>(١)</sup>؟ فهو تحذير، مثل قوله: ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الانفطار: ٦] وقيل: المعنى: أي شيء توهمتموه<sup>(٢)</sup> حتى أشركتم به غيره؟.

قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال ابن زيد عن أبيه: أرسل إليه ملكهم: إنَّ غداً عيدنا فاخرج معنا، فنظر إلى نجم طالع فقال: إنَّ هذا يطلع مع سقمي<sup>(٣)</sup>.

وكان علمُ النجوم مستعملاً عندهم منظوراً فيه، فأوهمهم هو من تلك الجهة، وأراهم من مُعتقدهم عُذراً لنفسه؛ وذلك أنهم كانوا أهلَ رِعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يُحتاج فيهما إلى نظير في النجوم<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: كان علمُ النجوم من النبوة، فلما حبسَ الله تعالى الشمسَ على يوشع بن نون أبطل ذلك، فكان نظراً إبراهيم فيها علماً نبوياً. وحكى جُوَيبِر عن الضحاك: كان علمُ النجوم باقياً إلى زمن عيسى عليه السلام، حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه منه، فقالت لهم مريم: من أين علمتم بموضعه؟ قالوا: من النجوم. فدعا ربَّه عند ذلك فقال: اللهم لا تُفهمهم في علمها، فلا يعلم علمَ النجوم أحدٌ؛ فصار حكمها في الشرع محظوراً، وعلمها في الناس مجهولاً.

قال الكلبي: وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هرمزجرد، وكانوا ينظرون في النجوم<sup>(٥)</sup>. فهذا قول.

وقال الحسن: المعنى: أنهم لما كلفوه الخروجَ معهم تفكَّر فيما يعمل. فالمعنى على هذا: أنه نظرَ فيما نَجِمَ له من الرأي، أي: فيما طَلَعَ له منه، فعلم أن كلَّ حيٍّ

(١) تفسير الطبري ٥٦٦/١٩.

(٢) في (خ) و(ظ): توهموه، وفي (م): أوهمتموه، والمثبت من (د) و(ز) و(ف).

(٣) أخرجه الطبري ٥٦٧/١٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٧٨.

(٥) قول ابن عباس رضي الله عنهما وقول الضحاك وقول الكلبي في النكت والعيون ٥٥/٥ - ٥٦.

يَسْقَمُ فقال: «إِنِّي سَقِيمٌ»<sup>(١)</sup>.

الخليل والمبرد: يقال للرجل إذا فكَرَّ في الشيء يدبَّره: نظرَ في النجوم. وقيل: كانت الساعةُ التي دَعَوْه إلى الخروج معهم فيها ساعةٌ تغشاهُ فيها الحُمَّى. وقيل: المعنى: فنظر فيما نَجَمَ من الأشياء، فعلم أنَّ لها خالقاً ومُدبِّراً، وأنه يتغير كتغيرها فقال: «إِنِّي سَقِيمٌ»<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك: معنى «سَقِيمٌ»: سَأَسْقَمُ سَقَمَ الموت؛ لأنَّ من كُتِب عليه الموت يَسْقَمُ في الغالب، ثم يموت، وهذا توريةٌ وتعريضٌ<sup>(٣)</sup>؛ كما قال للمَلِك لما سأله عن سارة: هي أختي؛ يعني أخواة الدين<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك أيضاً: أشار لهم إلى مرضٍ وسَقَمٍ يُعدي كالطاعون، وكانوا يهربون من الطاعون<sup>(٥)</sup>، فلذلك «تَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ» أي: فارتب من خوفٍ من العدوى.

وروى الترمذي الحكيم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن سمره عن الهمداني، عن ابن مسعود قال: قال أبو إبراهيم: إنَّ لنا عيداً، لو خرجت معنا لأعجبك ديننا. فلما كان يوم العيد خرجوا إليه وخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه، وقال: إني سقيمٌ أشتكى رجلي، فوطئوا رجله وهو صريعٌ، فلما مضوا نادى في آخرهم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾. قال أبو عبد الله: وهذا ليس بمعارضٍ لما قال ابن عباس وابن جبير؛ لأنه يحتمل أن يكون قد اجتمع له أمران.

قلت: وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «لم يكذب إبراهيمُ النبيُّ عليه السلام إلا ثلاثَ كذباتٍ» الحديث. وقد مضى في سورة «الأنبياء»<sup>(٦)</sup>. وهو يدلُّ على أنه لم يكن

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٠/٦.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤١/٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٨/٣ بنحوه.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة ؓ وأوله: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات..» وسلف ٢٢٢/١٤.

(٥) أخرجه الطبري ٥٦٧/١٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك بنحوه.

(٦) ٢٢٢/١٤، وينظر التعليق قبل السابق.

سقيماً، وإنما عَرَضَ لهم. وقد قال جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَيْهِمْ مَمِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].  
 فالمعنى: إني سقيمٌ فيما أستقبل، فتوهَّموا هم أنه سقيمٌ الساعة. وهذا من معاريض  
 الكلام على ما ذكرنا<sup>(١)</sup>، ومنه المثل السائر: «كفَى بالسلامة داءً»<sup>(٢)</sup>، وقول لييد:  
 فدعوتُ ربِّي بالسلامةِ جاهداً لِيُصَحِّحَنِي فإذا السَّلَامَةُ داءً<sup>(٣)</sup>  
 وقد مات رجلٌ فجأةً فالتفتَ عليه الناس فقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي:  
 أصحيح من الموت في عنقه<sup>(٤)</sup>؟.

فإبراهيمُ صادق، لكن لما كان الأنبياءُ لِقُرْبِ محلِّهم واصطفائهم عدُّ هذا ذنباً؛  
 ولهذا قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] وقد مضى هذا  
 كلُّه مبيّناً، والحمد لله.

وقيل: أراد: سقيم النفس لكفرهم<sup>(٥)</sup>.

والنجوم يكون جمع نجم، ويكون واحداً مصدرأ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْطُقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ  
 عَلَيْهِمْ صَرِيحاً بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُبُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ  
 خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِهِمْ﴾ قال السدي: ذهب إليهم. وقال أبو مالك: جاء

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٨/٣.

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٠٩) من حديث أنس ؓ.

(٣) لم نقف عليه في ديوان لييد، وقد نسبه له الزمخشري في الكشاف (والكلام منه) ٣/٣٤٤، ونسبه  
 القيرواني في زهر الآداب ١/٢٢٣ لعمرو بن قميئة، ونسبه البغدادي في الخزانة ٢/٢١٧ لبعض شعراء  
 الجاهلية.

(٤) الكشاف ٣/٣٤٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٨/٣.

إليهم. وقال قتادة: مال إليهم. وقال الكلبي: أقبل عليهم. وقيل: عدل<sup>(١)</sup>. والمعنى مُتقارب. فراغ يَرُوغَ رَوْغاً وَرَوْغَاناً، إذا مال. وطريق رائج، أي: مائل<sup>(٢)</sup>. وقال الشاعر:

وَبُرَيْكٍ مِنْ ظَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوغُ الشَّعْلَبُ<sup>(٣)</sup>  
فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فخاطبها كما يُخاطب مَنْ يعقل؛ لأنهم أنزلوها بتلك  
المنزلة. وكذا ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قيل: كان بين يدي الأصنام طعامٌ تركوه ليأكلوه إذا رجعوا من العيد، وإنما تركوه  
لِتُصِيبَهُ بركةُ أصنامهم بزعمهم<sup>(٥)</sup>. وقيل: تركوه لِلسَّدَنَةِ. وقيل: قَرَّبَ هو إليها طعاماً  
على جهة الاستهزاء؛ فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ خصَّ الضَّرْبَ باليمين لأنها أقوى والضربُ بها أشدُّ؛  
قاله الضحَّاك والربيع بن أنس. وقيل: المراد باليمين اليمين التي حَلَفَها حين قال:  
﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقال الفراء وثعلب: ضرباً بالقوة، واليمين القوة<sup>(٨)</sup>.

وقيل: بالعدل، واليمين هاهنا العدل. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَابِيلِ  
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥] أي: بالعدل، فالعدل لليمين؛ والجور للشمال. ألا

(١) هذه الأقوال في معاني القرآن للنحاس ٤٢/٦ - ٤٣، والنكت والعيون ٥٧/٥، وقولا السدي وكتادة  
أخرجهما الطبري ٥٧٠/١٩.

(٢) الصحاح (روغ).

(٣) لم نهتد إلى قائله.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٩/٣.

(٥) النكت والعيون ٥٧/٥.

(٦) تفسير الطبري ٥٧٠/١٩ - ٥٧١ بنحوه.

(٧) النكت والعيون ٥٧/٥، ومجمع البيان ٦٩/٢٣.

(٨) قول الفراء في زاد المسير ٦٩/٧، وقول ثعلب في النكت والعيون ٥٧/٥.

ترى أن العدوَّ عن الشمال، والمعاصي عن الشمال، والطاعة عن اليمين؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨] أي: من قِبَل الطاعة. فاليمينُ هو موضع العَدْل من المسلم، والشَّمال موضع الجَوْر. ألا ترى أنه بايع الله بيمينه يومَ الميثاق، فالبيعةُ باليمين؛ فلذلك يُعطى كتابه غداً بيمينه؛ لأنه وقى بالبيعة، ويُعطى الناكثُ للبيعة الهاربُ برقبته من الله بشماله؛ لأنَّ الجَوْر هناك. فقله: ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرِيحًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بذلك العَدْل الذي كان بايعَ الله عليه يومَ الميثاق، ثم وقى له هاهنا. فجعل تلك الأوثان جُذاذاً، أي: فُتاتاً كالجذيدة، وهي السَّويق، وليس من قَبيل القوة؛ قاله الترمذي الحكيم .

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ قرأ حمزة: «يَزْفُونَ» بضم الياء. الباقون بفتحها<sup>(١)</sup>. أي: يُسرعون؛ قاله ابن زيد<sup>(٢)</sup>. قتادة والسُّدي: يَمْشون<sup>(٣)</sup>. وقيل: المعنى: يمشون بجمعهم على مَهْل آمنين أن يُصيب أحدُ آلهتهم بسوء. وقيل: المعنى: يتسلَّلون تسلُّلاً بين المشي والعدو؛ ومنه زَفيف النَّعامة. وقال الضحَّاك: يسعون. وحكى يحيى بن سلام: يُزعدون غَضباً. وقيل: يختالون، وهو مشي الخِيلاء؛ قاله مجاهد. ومنه أُخِذَ زفاف العروس إلى زوجها<sup>(٤)</sup>. وقال الفرزدق:

وجاء قَرِيعُ السَّوْلِ قَبْلَ إِقَالِهَا      يَزِفُ وجاءتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُفُفٌ<sup>(٥)</sup>

ومن قرأ: «يَزْفُونَ» فمعناه: يُزفون غيرهم، أي: يَحْمِلونهم على التزفيف. وعلى هذا فالمفعول محذوف. قال الأصمعي: أزفت الإبل، أي: حملتها على أن تَزِفَ<sup>(٦)</sup>. وقيل: هما لغتان، يقال: زَفَّ القوم وأزفوا .

(١) السبعة ص ٥٤٨ ، والتيسير ص ١٨٦ .

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦٩/٢٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٥٧٤/١٩ عن السدي، وذكره النحاس في معاني القرآن ٤٤/٦ عن قتادة.

(٤) النكت والعيون ٥٧/٥ .

(٥) ديوان الفرزدق ص ٢٧ ، وفيه: وراحت، بدل: وجاءت.

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٥٧/٦، والكشف عن وجوه القراءات ٢٢٥/٢ .

وزَفَقْتُ العروسَ وأزففتها وازدفتها بمعنى ، والمِرْقَة: المِحَقَّة التي تُزَفُّ فيها العروس؛ حُكي ذلك عن الخليل<sup>(١)</sup> .

النحاس<sup>(٢)</sup>: «يُزْفُون» بضم الياء. زعم أبو حاتم أنه لا يعرف هذه اللغة، وقد عَرَفَهَا جماعةٌ من العلماء منهم الفراء<sup>(٣)</sup> وشبَّهها بقولهم: أطردت الرجل، أي: صيرته إلى ذلك. وطردته نَحَيْتَه؛ وأنشد هو وغيره:

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِذَاعَهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَدَلَّ وَأَقْهَرَا<sup>(٤)</sup>

أي: صُيِّرَ إلى ذلك؛ فكذلك «يُزْفُون» يصيرون على الزيف. قال محمد بن يزيد: الزيف الإسراع. وقال أبو إسحاق<sup>(٥)</sup>: الزيفُ أولُ عَدُو النَّعَامِ. وقال أبو حاتم: وزعم الكسائي أن قوماً قرؤوا: «فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُون»<sup>(٦)</sup> خفيفة؛ من وَزَفَ يَزِفُ، مثل: وَزَنَ يَزِنُ .

قال النحاس<sup>(٧)</sup>: فهذه حكاية أبي حاتم، وأبو حاتم لم يسمع من الكسائي شيئاً. وروى الفراء<sup>(٨)</sup> - وهو صاحبُ الكسائي - عن الكسائي أنه لا يعرف «يَزْفُون» مخففة.

(١) الصحاح (زفف).

(٢) في إعراب القرآن ٤٢٩/٣ .

(٣) في معاني القرآن ٣٨٩/٢ .

(٤) البيت للمخبل السعدي يهجو به الزبيرقان بن بدر - وهو حصين المذكور في البيت - وهو في أدب الكاتب ص ٤٤٧ ، والخزانة ١٠١/٨ . والجذاع: هم رهط حُصَيْنِ. وهذه رواية الأصمعي للبيت ويروى: أَدَلَّ وَأَقْهَرَا، بالبناء للمجول. ينظر الاقتصاب في شرح أدب الكتاب ٢٨٠/٣ .

(٥) هو الزجاج، وقوله في معاني القرآن ٣٠٩/٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٩/٣ ، وما قبله وما بعده منه.

(٦) قرأ بها عبد الله بن يزيد كما سيأتي عند المصنف، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢٢١/٢ ، وزاد أبو حيان في البحر ٣٦٦/٧ نسبتها لمجاهد والضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وابن أبي عبله.

(٧) في إعراب القرآن ٤٢٩/٣ .

(٨) في معاني القرآن ٣٨٩/٢ .

قال الفراء: وأنا لا أعرفها. قال أبو إسحاق<sup>(١)</sup>: وقد عَرَفَهَا غيرهما [أنه يقال] وَرَفَ يَزِفُ إذا أَسْرَعَ. قال النحاس: ولا نعلم أحداً قرأ: «يَزِفُونَ».

قلت: هي قراءة عبد الله بن يزيد فيما ذكر المهدي.

الزمخشري<sup>(٢)</sup>: و«يَزِفُونَ» على البناء للمفعول. و«يَزِفُونَ» من رَفَاه إذا حَدَاه؛ كَأَنَّ بَعْضَهُمْ يَزِفُو بَعْضاً لِتَسَارِعِهِمْ إِلَيْهِ.

وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السَّمِينِغ: «يَرَفُونَ» بالراء [من] رَفِيف النعام، وهو ركض بين المَشْيِ والطيران.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ فيه حذف؛ أي: قالوا: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ؟ فقال مُحتَجّاً: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» أي: أتعبدون أصناماً أنتم تَنْحِتُونَهَا بأيديكم تَنْجُرُونَهَا. وَالتَّنْحَتُ: التَّنْجِرُ وَالبَرْيُ؛ نَحْتَهُ يَنْحِتُهُ - بالكسر - نَحْتاً، أي: بَرَاه. وَالتَّنْحَاتُ البُرَايَةُ، وَالمِنْحَتُ: مَا يُنْحَتُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ «ما» في موضع نصب، أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام<sup>(٤)</sup>، يعني الخشب والحجارة وغيرهما كقوله ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٦].

وقيل: إن «ما» استفهام، ومعناه: التحقير لعملهم. وقيل: هي نفي، والمعنى: وما تعملون ذلك، لكنَّ اللَهَ خَالِقُهُ. وَالأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ «ما» مع الفعل مصدراً، وَالتَّقْدِيرُ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ<sup>(٥)</sup>.

وهذا مذهب أهل السنة: أَنَّ الأَفْعَالَ خُلِقَ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَاِكْتِسَابٌ لِلْعِبَادِ. وَفِي هَذَا إِبْطَالٌ

(١) هو الزجاج، وقوله في معاني القرآن ٣٠٩/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٢٩/٣ - ٤٣٠، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٢) في الكشف ٣٤٥/٣.

(٣) الصحاح (نحت).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٠/٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٥/٦ - ٤٦.

مذاهب القَدَرية والجَبَرية. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعْتَهُ» ذكره الثعلبي. وخرَّجه البيهقي من حديث حُذيفة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَنَعَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعْتَهُ»<sup>(١)</sup> فهو الخالقُ، وهو الصانع سبحانه، وقد بيَّناها في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا فَالْقَوْمُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا﴾ أي: تشاوروا في أمره لَمَّا غَلَبَهُم بِالْحُجَّةِ حَسَبَ ما تقدَّم في «الأنبياء» بيانه<sup>(٣)</sup>. ف ﴿قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا﴾ تملؤونه حَطْبًا فَتُضْرِمُونَهُ، ثم ألقوه فيه، وهو الجحيم. قال ابن عباس: بَنَوْا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وَمَلَّؤُوهُ ناراً وطرحوه فيها<sup>(٤)</sup>. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فلما صار في البُنيان قال: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(٥)</sup>. والألف واللام في «الجحيم» تدلُّ على الكناية؛ أي: في جحيمه؛ أي: في جحيم ذلك البُنيان<sup>(٦)</sup>.

وذكر الطبري<sup>(٧)</sup>: أن قائل ذلك اسمه الهيزن<sup>(٨)</sup>، رجلٌ من أعراب فارس، وهو

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٧)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٥.

(٢) ص ٣٣٤ و ٣٤٤.

(٣) ٢٢٦/١٤.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٥٠/٢٦، والطبرسي في مجمع البيان ٧٠/٢٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٠/٣.

(٦) تفسير الرازي ١٥٠/٢٦.

(٧) في تفسيره ٣٠٥/١٦، ونقله المصنف عنه بواسطة السهيلي في التعريف والإعلام ص ١٤٦، وقد

أخرجه الطبري عن ابن عمر رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج. وسلف ٢٢٦/١٤.

(٨) اضطرب رسمها في النسخ، والمثبت من (م)، وتفسير الطبري والتعريف والإعلام. وقال أبو حيان في

البحر ٣٢٨/٦: وذكروا لهذا القائل اسماً مختلفاً فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطاً

بالشكل والنقط، وهكذا تقع أسماء كثيرة أعجمية في التفاسير لا يمكن الوقوف منها على حقيقة لفظ

لعدم الشكل والنقط.

الثُّرْكُ<sup>(١)</sup>، وهو الذي جاء فيه الحديث: «بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ له يتبخترُ فيها فحُصِفَ به، فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. والله أعلم.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي: بإبراهيم. والكَيْدُ المَكْرُ؛ أي: احتالوا لإهلاكه ﴿جَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين المغلوبين إذ نَفَذَتْ حُجَّتَهُ من حيث لم يُمكنهم دَفْعَهَا، ولم يَنْفُذْ فيه مَكْرَهُمْ ولا كَيْدَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾  
فَبَشِّرْنَاهُ بِقُلْتِهِ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: هذه الآية أصلٌ في الهجرة والعزلة، وأوَّلَ مَنْ فَعَلَ ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلَّصه الله من النار قال: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» أي: مُهاجر من بلدٍ قومي ومولدي إلى حيث أتمكَّن من عبادة ربي، فإنه «سَيِّهْدِينَ» فيما نويتُ إلى الصواب. قال مقاتل: هو أوَّلَ مَنْ هاجر من الخَلْقِ مع لوط وسارة إلى الأرض المقدَّسة، وهي أرضُ الشام. وقيل: ذاهبٌ بعملي وعبادتي، وقلبي ونيتي<sup>(٣)</sup>. فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن. وقد مضى بيانُ هذا في «الكهف» مستوفى<sup>(٤)</sup>. وعلى الأوَّلِ بالمهاجرة إلى الشام وبيت المقدس. وقيل: خرج إلى حرَّان، فأقام بها مُدَّة. ثم قيل: قال ذلك لمن فارقه من قومه؛ فيكون ذلك توبيخاً لهم. وقيل: قاله لمن هاجر معه من أهله؛ فيكون ذلك منه ترغيباً.

وقيل: قال هذا قبلَ إلقاءه في النار. وفيه على هذا القول تأويلان: أحدهما: إني ذاهبٌ إلى ما قضاه عليَّ ربي. الثاني: إني ميِّتٌ؛ كما يقال لمن مات: قد ذهب إلى

(١) كذا في النسخ والتعريف والإعلام: الترك، وفي المصادر: الكرد، وهو الصواب.

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٤٦)، ومسلم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) النكت والعيون ٥٩/٥.

(٤) ٢١٦/١٣ وما بعدها.

الله تعالى؛ لأنه عليه السلام تصوّر أنه يموت بإلقائه في النار، على المعهود من حالها في تَلَفٍ ما يُلقى فيها، إلى أن قيل لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] فحينئذ سَلِمَ إبراهيمُ منها .

وفي قوله: «سَيَهْدِينِ» على هذا القول تأويلان: أحدهما: «سَيَهْدِينِ» إلى الخَلاص منها. الثاني: إلى الجنة<sup>(١)</sup>.

وقال سليمان بن صُرد - وهو ممن أدرك النبي ﷺ -: لما أرادوا إلقاء إبراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحَطَب؛ فجعلت المرأة العجوز تحملُ على ظهرها وتقول: أذهبُ به إلى هذا الذي يذكرُ آلهتنا؛ فلما ذهب به ليُطرح في النار «قال إني ذاهبٌ إلى ربِّي»، فلما طُرح في النار قال: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فقال الله تعالى: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] فقال أبو لوط - وكان ابن عمّه - : إنَّ النارَ لم تحرقه من أجل قرابته مني. فأرسل الله عُناقاً من النار فأحرقه<sup>(٢)</sup>.

الثانية: قول تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لما عرفه الله أنه مُخَلَّصه دعا الله ليعضده بولدٍ يأتسُّ به في عُربته. وقد مضى في «آل عمران» القول في هذا<sup>(٣)</sup>. وفي الكلام حذفٌ؛ أي: هَبْ لي ولداً صالحاً من الصالحين، وحذف مثل هذا كثيراً.

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِقُلْتِهِ حَلِيمٍ﴾ أي: إنه يكون حليماً في كِبَره<sup>(٤)</sup>، فكانه بُشِّرَ ببقاء ذلك الولد؛ لأنَّ الصغير لا يُوصف بذلك، فكانت البُشرى على السنة الملائكة كما تقدّم في «هود»<sup>(٥)</sup>. ويأتي أيضاً في «الذاريات»<sup>(٦)</sup>.

(١) هذه الأقوال في النكت والعيون ٥٩/٥ - ٦٠ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٤/٣٢٢ ، والطبري ١٩/٥٧٧ ، وفيه: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط.

(٣) ١١٠/٥ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٠ .

(٥) ١٥٧/١١ .

(٦) في تفسير الآية (٢٨).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَارِ آتِيَكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا فَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَأْبَرَهِيْمُ ﴿١٠٤﴾ فَذَصَفَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْعَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَلْتُوا الْمِئِينَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْتَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمْ عَلَيَّ إِزْرَهِيْمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْعَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

فيه سبع عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ أي: فوهبنا له الغلام؛ فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه مُعِينًا له على أعماله ﴿قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَارِ آتِيَكَ﴾.

وقال مجاهد: «فلما بلغ معه السَّعَىٰ» أي: شَبَّ وأدرك سَعِيَهُ سَعِيَّ إبراهيم<sup>(١)</sup>. وقال الفراء<sup>(٢)</sup>: كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. وقال ابن عباس: هو الاحتمال<sup>(٣)</sup>. قتادة: مَشَى مع أبيه. الحسن ومقاتل: هو سعي العقل الذي تقوم به الحُجَّة. ابن زيد: هو السَّعَى في العبادة. ابن عباس: صام وصَلَّى، ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعِيَهَا﴾<sup>(٤)</sup> [الإسراء: ١٩].

واختلف العلماء في المأمور بذبحه. فقال أكثرهم: الذبيحُ إسحاق. وممن قال بذلك العباسُ بن عبد المطلب وابنه عبد الله<sup>(٥)</sup>، وهو الصحيح عنه. روى الثوري

(١) أخرجه الطبري ٥٧٩/١٩.

(٢) في معاني القرآن ٣٨٩/٢.

(٣) لم تقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري ٥٧٩/١٩ عنه قال: السعي العمل.

(٤) هذه الأقوال في النكت والعيون ٦٠/٥، وقولا قتادة وابن زيد أخرجهما الطبري ٥٨٠/١٩.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٥٨٨/١٩.



رَوْحَة واحدة طُويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> وعن الصحابة والتابعين<sup>(٢)</sup>.

وقال آخرون: هو إسماعيل. وممن قال ذلك أبو هريرة<sup>(٣)</sup> وأبو الطفيل عامر بن واثله<sup>(٤)</sup>. ورُوي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضاً، ومن التابعين سعيد بن المسيّب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة<sup>(٥)</sup>. وسُئل أبو سعيد الضّرير عن الذبيح فأُشدد:

إِنَّ الذَّبِيحَ هُدَيْتَ إِسْمَاعِيلُ      نَطَقَ الْكِتَابُ بِذَاكَ وَالتَّنْزِيلُ  
شَرَفَ بِهِ خَصَّ الْإِلَهَ نَبِيَّنَا      وَأَتَى بِهِ التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ  
إِنْ كُنْتَ أُمَّتَهُ فَلَا تُنْكِرْ لَهُ      شَرَفًا بِهِ قَدْ خَصَّهُ التَّفْضِيلُ<sup>(٦)</sup>

وعن الأصمعي قال: سألتُ أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي، أين عَزَبَ عنك عقلك؟! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمُنْحَر بمكة<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الطبري ٥٨٨/١٩ من حديث العباس ؑ مرفوعاً. قال الحافظ ابن كثير: في إسناده ضعيفان، وهما الحسن بن دينار البصري، متروك، وعلي بن زيد بن جُدعان، منكر الحديث.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٢/٧: وهذه الأقوال (يعني الواردة في أن الذبيح إسحاق عليه السلام) والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم.. جعل يحدث عمر ؑ عن كتبه.. ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده.

(٣) ذكره عنه النحاس في إعراب القرآن ٤٣١/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٥٩٥/١٩.

(٥) هذه الأقوال في تفسير البغوي ٣٢/٤، وزاد المسير ٧٢/٧ - ٧٣. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٣/٧: وهو الصحيح المقطوع به. وينظر كتاب الإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٥٢ - ٢٦٠.

(٦) ذكر هذه الآيات الألوسي في روح المعاني ١٣٣/٢٣.

(٧) تفسير البغوي ٣٣/٤.

وَرُوي عن النبي ﷺ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلَ<sup>(١)</sup>

وَالأَوَّلَ أَكْثَرُ عن النبي ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين .

واحتجوا بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومَه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارةَ وابن أخيه لوط فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْ رَبِّي سَبِّحِينَ﴾ أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْرَضْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مریم: ٤٩]؛ ولأنَّ الله قال: ﴿وَقَدَّيْتَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بُشِّرَ به إبراهيم، وإنما بُشِّرَ بإسحاق؛ لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصفات: ١١٢]، وقال هنا: ﴿يَقُولُ حَلِيمٍ﴾ وذلك قبل أن يتزوَّج هاجرَ وقبل أن يُولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بُشِّرَ بولد إلا إسحاق .

احتجَّ من قال: إنه إسماعيل، بأنَّ الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذَّبْح، ووصفه بِصِدْقِ الوَعْدِ في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ﴾ [مریم: ٥٤]؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبرَ على الذَّبْحِ فوقَى به؛ ولأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ [الصفات: ١١٢] فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً، وأيضاً فإنَّ الله تعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فكيف يُؤمَرُ بِذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب. وأيضاً ورد في الأخبار تعليقُ قُرْنِ الكَبِشِ في الكعبة، فدلَّ على أن الذَّبِيحَ إسماعيل، ولو كان إسحاقَ لكان الذَّبْحُ يقع ببيت المقدس<sup>(٢)</sup> .

وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع، أمَّا قولهم: كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأنه يكون نبياً، فإنه يحتملُ أن يكون المعنى: وبشَّرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان؛

(١) لعله يريد حديث معاوية ؓ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا بن الذبيحين.. وهو ضعيف، وسيأتي بتمامه في

المسألة السادسة عشرة.

(٢) تفسير الرازي ١٥٣/٢٦ - ١٥٥ .

قاله ابن عباس. وسيأتي<sup>(١)</sup>.

ولعلَّه أمرٌ بذبح إسحاق بعد أن وُلِدَ لإسحاق يعقوب<sup>(٢)</sup>. أو يقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يُولَد من إسحاق.

وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبيح يقع ببيت المقدس، فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدّم.

وقال الزجاج<sup>(٣)</sup>: الله أعلمُ أيهما الذبيح. وهذا مذهبُ ثالث.

الثانية: قوله تعالى: ﴿كَأَلَّ بِيئَتِي إِنَّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آيَةَ الذَّبْحِكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَوْن﴾ قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليالٍ مُتتابعات<sup>(٤)</sup>. وقال محمد بن كعب: كانت الرُّسُلُ يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً ورُقوداً؛ فإنَّ الأنبياء لا تنام قلوبهم. وهذا ثابت في الخبر المرفوع، قال ﷺ: «إِنَّا معاشرَ الأنبياء تنامُ أعيننا ولا تنامُ قلوبنا»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وَحْيٌ؛ واستدلَّ بهذه الآية<sup>(٦)</sup>.

وقال السدي: لما بُشِّر إبراهيم بإسحاق قبل أن يُولَد له قال: هو إذاً لله ذبيح. فقيل له في منامه: قد نذرت نذراً ففٍ بنذرك<sup>(٧)</sup>.

(١) في المسألة السادسة عشرة.

(٢) الكلام بمعناه في إعراب القرآن للنحاس ٤٣٢/٣ دون ذكر ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في معاني القرآن ٣١١/٤.

(٤) تفسير البغوي ٣٣/٤.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن سعد في طبقاته ١٧١/١ عن عطاء مرسلاً. وأخرج البخاري (٣٥٧٠) عن أنس بن مالك ﷺ قوله ضمن حديث الإسراء: وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. وأخرج أحمد (٢٤٠٧٣)، والبخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨) حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه: «يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد (١٩١١)، والبخاري (١٣٨).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٢٨/٧، الطبراني في الكبير (١٢٣٠٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٧: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. وأخرجه البخاري (١٣٨) من قول عُبيد بن عمير.

(٧) تفسير البغوي ٣٣/٤.

ويقال: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ رَأَى فِي لَيْلَةِ التَّرْوِيَةِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِذَبْحِ ابْنِكَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَوَى فِي نَفْسِهِ، أَي: فَكَّرَ؛ أَهَذَا الْحُلْمُ مِنَ اللَّهِ أَمْ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ فَسُمِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ رَأَى ذَلِكَ أَيْضًا، وَقِيلَ لَهُ: الْوَعْدُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، فَسُمِّيَ يَوْمَ عَرَفَةَ. ثُمَّ رَأَى مِثْلَهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ، فَهَمَّ بِنَحْرِهِ، فَسُمِّيَ يَوْمَ النَّحْرِ<sup>(١)</sup>. وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا ذَبَحَهُ قَالَ جِبْرِيلُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ الذَّبِيحُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَبَقِيَ سُنَّةً. وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي وَقُوعِ هَذَا الْأَمْرِ وَهِيَ:

الثالثة: فقال أهل السنة: إِنَّ نَفْسَ الذَّبِيحِ لَمْ يَقَعْ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِالذَّبْحِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الذَّبْحُ، وَلَوْ وَقَعَ لَمْ يُتَصَوَّرَ رَفْعُهُ، فَكَانَ هَذَا مِنْ بَابِ النَّسْخِ قَبْلَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ حَصَلَ الْفِرَاقُ مِنْ امْتِثَالِ الْأَمْرِ بِالذَّبْحِ مَا تَحَقَّقَ الْفِدَاءُ<sup>(٢)</sup>. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾. أَي: حَقَّقْتَ مَا نَبَّهْنَاكَ عَلَيْهِ، وَفَعَلْتَ مَا أَمَكْنَاكَ، ثُمَّ امْتَنَعْتَ لَمَّا مَنَعْنَاكَ. هَذَا أَصْحَحُ مَا قِيلَ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ.

وقالت طائفة: ليس هذا مما يُنسخ بوجه؛ لِأَنَّ مَعْنَى ذَبَحْتَ الشَّيْءَ قَطَعْتَهُ. وَاسْتَدَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ: قَالَ إِسْحَاقُ لِإِبْرَاهِيمَ لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ فَتَرْحَمَنِي، وَلَكِنْ اجْعَلْ وَجْهِي إِلَى الْأَرْضِ؛ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ السَّكِينَ فَأَمَرَهَا عَلَى حَلْقِهِ فَانْقَلَبَتْ. فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: انْقَلَبَتِ السَّكِينُ. قَالَ: اطْعَنِي بِهَا طَعْنًا<sup>(٣)</sup>.

وقال بعضهم: كَانَ كَلِمًا قَطَعَ جُزْءًا إِنْتَامًا. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: وَجَدَ حَلْقَهُ نُحَاسًا أَوْ مُغَشًى بِنُحَاسٍ، وَكَانَ كَلِمًا أَرَادَ قَطْعًا وَجَدَ مَنَعًا. هَذَا كُلُّهُ جَائِزٌ فِي الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لَكِنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى نَقْلِ صَحِيحٍ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ بِالنَّظَرِ وَإِنَّمَا طَرِيقُهُ الْخَبِيرُ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٣/٤ بنحوه عن محمد بن إسحاق، وفيه أن هذه القصة جرت مع إسماعيل عليه السلام.

(٢) تفسير الرازي ١٥٥/٢٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١٦٠٦/٤ بنحوه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٢/٣.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠٦/٤.

ولو كان قد جرى ذلك لبيَّنه الله تعالى تعظيماً لِرُتْبَةِ إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما، وكان أولى بالبيان من الفداء<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: إنَّ إبراهيم ما أمر بالذَّبْحِ الحقيقي الذي هو قَرْيُ الأوداج وإنهارُ الدم، وإنما رأى أنه أضجعه للذبح فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي، فلما أتى بما أمر به من الإضجاع قيل له: ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾.

وهذا كله خارجٌ عن المفهوم. ولا يُظنُّ بالخليل والذبيح أن يفهما من هذا الأمر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم. وأيضاً لو صحَّت هذه الأشياء لما احتج إلى الفداء.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قرأ أهل الكوفة غير عاصم: «ماذا تُري» بضم التاء وكسر الراء من: أري يري<sup>(٢)</sup>. قال الفراء<sup>(٣)</sup>: أي: فانظر ماذا تري من صبرك وجَزَعِكَ. قال الزجاج<sup>(٤)</sup>: لم يقل هذا أحدٌ غيره، وإنما قال العلماء: ماذا تُشير؛ أي: ما تُريك نفسك من الرأي. وأنكر أبو عبيد «تري» وقال: إنما يكون هذا من رؤية العين خاصة. وكذلك قال أبو حاتم.

النحاس<sup>(٥)</sup>: وهذا غلطٌ، وهذا يكون من رؤية العين وغيرها، وهو مشهور، يقال: أريت فلاناً الصواب، وأريته رُشدَه، وهذا ليس من رؤية العين.

الباقون: «تري» مضارع رأيت.

وقد روي عن الضحاك والأعمش: «تري» غير مسمى الفاعل<sup>(٦)</sup>. ولم يقل له ذلك

(١) أحكام القرآن للكيا ٤/٣٥٧.

(٢) السبعة ص ٥٤٨، والتيسير ص ١٨٦.

(٣) في معاني القرآن ٢/٣٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٣٣.

(٤) في معاني القرآن ٤/٣١٠، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٦/٤٧.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٤٣٣، وما قبله منه.

(٦) تفسير البغوي ٤/٣٣، وزاد المسير ٧/٧٥.

على وجه المؤامرة في أمر الله، وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله<sup>(١)</sup>؛ أو ليقتر عينه إذا رأى من ابنه طاعة في أمر الله ف ﴿قَالَ يَتَابِتِ آفَعْلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قوله:

أَمَرْتِكَ الْخَيْرَ فَاَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ<sup>(٢)</sup>

فوصل الفعل إلى الضمير فصار: تؤمره، ثم حذفت الهاء؛ كقوله: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيَّ عِيَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْتُ﴾ [النمل: ٥٩] أي: اصطفاهم على ما تقدم. و«ما» بمعنى الذي.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال بعض أهل الإشارة: لما استثنى وقره الله للصبر. وقد مضى الكلام في «يا أبت» وكذلك في «يا بُنَيَّ» في «يوسف» وغيرها<sup>(٣)</sup>.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ أي: انقادا لأمر الله. وقرأ ابن مسعود وابن عباس وعليّ رضوان الله عليهم: «فَلَمَّا سَلَمَا»<sup>(٤)</sup> أي: فوَضَا أمرهما إلى الله. وقال ابن عباس: استسلما. وقال قتادة: أسلم أحدهما نفسه لله عز وجل وأسلم الآخر ابنه<sup>(٥)</sup>.

﴿وَتَلَّمُ لِلْجَبِينِ﴾ قال قتادة: كَبَّه وحوّل وجهه إلى القبلة. وجواب «لَمَّا» محذوف عند البصريين تقديره: «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمُ لِلْجَبِينِ» فديناه بكبش.

وقال الكوفيون: الجواب: «نَادَيْنَاهُ» والواو زائدة مُقْحَمَةٌ<sup>(٦)</sup>؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِمْ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا﴾ [يوسف: ١٥] أي: أوحينا. وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧] أي: اقترب. وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا﴾

(١) المحتسب ٢/٢٢٢.

(٢) الكشاف ٣/٣٤٨، والبيت سلف بتمامه ٤/١٢٣، واختلف في قائله، وقد بيناه ثمة.

(٣) ٢٤٥/١١.

(٤) المحتسب ٢/٢٢٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٩/٥٨٤.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٣.

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ ﴿ [الزمر: ٧٣] أي: قال لهم. وقال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي<sup>(١)</sup>

أي: انتحي، والواو زائدة. وقال أيضاً:

حَتَّى إِذَا حَمَلَتْ بُطُونُكُمْ      وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا

وَقَلْبَتْكُمْ ظَهَرَ الْمَجْنُّ لَنَا      إِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرُ الْخَبُّ<sup>(٢)</sup>

أراد: قلبتم. النحاس<sup>(٣)</sup>: والواو من حروف المعاني لا يجوز أن تُزاد.

وفي الخبر: إنَّ الذبيحَ قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه: يا أبت اشدُّ رباطي حتى لا أضطرب، واكف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أُمِّي فتحزن، وأسرع مرَّ السكين على حَلقي ليكون الموتُ أهونَ عليّ، واقذفني للوجه؛ لئلا تنظر إلى وجهي فترحمَني، ولئلا أنظرَ إلى الشفرة فأجزع، وإذا أتيتَ إلى أُمِّي فأقرئها مني السلام. فلما جرَّ إبراهيم عليه السلام السكين ضربَ الله عليه صفيحةً من نحاس، فلم تعمل السكين شيئاً، ثم ضرب به على جبينه وحرَّ في ففاه فلم تعمل السكين شيئاً<sup>(٤)</sup>؛ فذلك قوله تعالى: «وَتَلَّهُ لِلجِيبِينَ»، كذلك قال ابن عباس: معناه: كبَّه على وجهه<sup>(٥)</sup>، فتودي ﴿بِكَابِرِهِمْ قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا﴾ فالتفت فإذا بكبش؛ ذكره المهدي. وقد تقدّمت الإشارة إلى عدم صحته<sup>(٦)</sup>، وأن المعنى لما اعتقد الوجوب وتهيأ للعمل؛ هذا بهيئة الذبح، وهذا بصورة المذبوح، أعطيا محلاً للذبح فداء، ولم

(١) سلف ٨٥/٢.

(٢) البيتان في معاني القرآن للفراء ١٠٧/١، وأمالى ابن الشجري ١٢١/٢، وخزانة الأدب ٤٤/١١، واللسان (قمل) من غير نسبة، وفيها: قَمَلْتُ، بدل: حملت، والعاجز، بدل: الفاجر. وقملت بطونكم، أي: كثرت قبائلكم. اللسان (قمل).

(٣) في إعراب القرآن ٤٣٣/٣.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٣٣/٤ - ٣٤ بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الطبري ٥٨٥/١٩.

(٦) في المسألة الثالثة.

يكن هناك مرٌ سكين<sup>(١)</sup>. وعلى هذا يتصوّر النسخ قبل الفعل على ما تقدّم<sup>(٢)</sup>. والله أعلم.

قال الجوهري: «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» أي: صرعه؛ كما تقول: كَبَّه لِرُجُلِهِ<sup>(٣)</sup>. الهروي: والتَّلُّ: الدَّفْعُ والصَّرْعُ؛ ومنه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: وتركوك لِمَتَلِّكَ<sup>(٤)</sup>، أي: لمصرعك. وفي حديث آخر: «فجاء بناقة كَوْمَاءَ فَتَلَّهَا»<sup>(٥)</sup> أي: أناخها. وفي الحديث: «بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيح خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي»<sup>(٦)</sup>، قال ابن الأنباري: أي: فَأَلْقَيْتُ فِي يَدِي؛ يقال: تَلَّتُ الرَّجُلَ، إذا أَلْقَيْتَهُ. قال ابن الأعرابي: فَصَبَّتْ فِي يَدِي؛ وَالتَّلُّ الصَّبُّ؛ يقال: تَلَّ يَتَلُّ إِذَا صَبَّ، وَتَلَّ يَتَلُّ - بِالْكَسْرِ - إِذَا سَقَطَ<sup>(٧)</sup>.

قلت: وفي «صحيح مسلم»: عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتني بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ وعن يساره أشياخ؛ فقال للغلام: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ» فقال الغلام: لا والله، لا أؤثر بنصبي منك أحداً. قال: فتلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده<sup>(٨)</sup>؛ يُريد: جعله في يده.

وقال بعضُ أهل الإشارة: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَدْعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْوَلَدِ بِالْمَحَبَّةِ، فَلَمْ يَرْضَ حَبِيبَهُ مَحَبَّةً مُشْتَرَكَةً؛ فَقِيلَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ، اذْبَحْ وَلَدَكَ فِي

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠٧/٤ بنحوه.

(٢) في المسألة الثالثة.

(٣) الصحاح (تلل).

(٤) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث ١/١١٠، وابن الأثير في النهاية (تلل).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/٤٠ - ٤١ مطولاً من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه. وفي الباب عن شويد ابن غفلة رضي الله عنه أخرجه أحمد (١٨٨٣٧)، والنسائي ٥/٣٠. وقوله: كَوْمَاءَ: أي: مشرفة السنام عالية. حاشية السندي على المجتبى.

(٦) أخرجه أحمد (١٠٥١٧)، والبخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعند البخاري ومسلم: فَوَضِعَتْ، بدل: فَتَلَّتْ.

(٧) تهذيب اللغة ١٤/٢٥١.

(٨) صحيح مسلم (٢٠٣٠)، وأخرجه أحمد (٢٢٨٢٤)، والبخاري (٢٤٥١).

مرضاتي، فشمّر وأخذ السكين وأضجع ولده، ثم قال: اللهم تقبله مني في مرضاتك. فأوحى الله إليه: يا إبراهيم لم يكن المراد ذبح الولد، وإنما المراد أن ترد قلبك إلينا، فلما رددت قلبك بكليته إلينا رددنا ولدك إليك<sup>(١)</sup>.

وقال كعب وغيره: لما أري إبراهيم ذبح ولده في منامه، قال الشيطان: والله، لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً. فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل، ثم أتى أم الغلام وقال: أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: لا. قال: إنه يذهب به ليذبحه. قالت: كلاً، هو أراف به من ذلك. فقال: إنه يزعم أن ربه أمره بذلك. قالت: فإن كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه. ثم أتى الغلام فقال: أتدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: لا. قال: فإنه يذهب بك ليذبحك. قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك. قال: فليفعل ما أمره الله به، سمعاً وطاعة لأمر الله. ثم جاء إبراهيم فقال: أين تريد؟ والله، إنني لأظن أن الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح ابنك. فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي. فلم يصب الملعون منهم شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس: لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

واختلف في الموضع الذي أراد ذبحه [فيه] فقيل: بمكة في المقام<sup>(٤)</sup>. وقيل: في المنحر بمنى عند الجمار التي رمى بها إبليس لعنه الله؛ قاله ابن عباس وابن عمر

(١) لطائف الإشارات ٣/٢٣٩ بمعناه.

(٢) أخرجه الطبري ١٩/٥٩٠، وذكره أبو الليث في تفسيره ٣/١٢٠، والبغوي في تفسيره ٤/٣٤.

(٣) تفسير البغوي ٤/٣٤.

(٤) أخرجه الطبري ١٩/٦٠١. عن عبيد بن عمير.

ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيَّب .

وحُكي عن سعيد بن جُبَيْر: أنه ذبحه على الصخرة التي بأصل ثَبِيرِ بَمْنَى. وقال ابن جُرَيْج: ذبحه بالشام، وهو من بيت المقدس على ميلين<sup>(١)</sup>.

والأول أكثر<sup>(٢)</sup>؛ فإنه ورد في الأخبار تعليقُ قَرْنِ الكَبْشِ في الكعبة، فدلَّ على أنه ذبحه بمكة. وقال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده، لقد كان أول الإسلام، وإنَّ رَأْسَ الكَبْشِ لَمَعْلَقٌ بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يَسَّ<sup>(٣)</sup>.

أجاب مَنْ قال بأنَّ الذبح وقع بالشام: لعلَّ الرَّأْسَ حُمِلَ من الشام إلى مكة. والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَتُوا الْمِينُ﴾ أي: النعمة الظاهرة؛ يقال: أبلاه الله إبلاءً وبلاءً، إذا أنعم عليه. وقد يقال: بلاءه. قال زهير:  
فأبلاهما خَيْرَ البلاءِ الذي يَبْلُو<sup>(٥)</sup>

فزعم قومٌ أنه نجاء باللغتين. وقال آخرون: بل الثاني من: بلاءه يَبْلُوهُ إذا اختبره، ولا يقال من الاختبار إلا بلاءه يَبْلُوهُ، ولا يقال من الابتلاء: يبلوه. وأصلُ هذا كله من الاختبار أن يكون بالخير والشر؛ قال الله عز وجل: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال ابن زيد<sup>(٦)</sup>: هذا في<sup>(٧)</sup> البلاء الذي نزلَ به في أن يذبح ابنه؛ قال:

(١) النكت والعيون ٦٢/٥ .

(٢) وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٨٣: وما يستغرب في هذه الآية أن عُبيد بن عمير قال: ذُبح في المقام.. وقال الجمهور: ذُبح بمني.

(٣) أخرجه الطبري ٦٠٣/١٩ .

(٤) تفسير الطبري ٦٠٣/١٩ بنحوه.

(٥) شرح ديوان زهير ص ١٠٩، وصدرة: رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم. وفي رواية: جزى الله..

(٦) في النسخ: أبو زيد، وهو خطأ، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٤ والكلام منه. والخبر أخرجه الطبري ٥٨٧/١٩ عن ابن زيد.

(٧) في (م): من.

وهذا من البلاء المكروه.

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَقَدَّيْنَهُ بِذَبِجٍ عَظِيمٍ﴾ الذَّبِجُ اسْمُ الْمَذْبُوحِ وجمعه ذبوح؛ كالطَّحْنِ اسْمُ الْمَطْحُونِ. الذَّبِجُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ<sup>(١)</sup>. «عَظِيمٌ» أَي: عَظِيمُ الْقَدْرِ، وَلَمْ يُرِدْ عَظِيمَ الْجُنَّةِ، وَإِنَّمَا عَظُمَ قَدْرُهُ لِأَنَّهُ فَدَى بِهِ الذَّبِيجَ؛ أَوْ لِأَنَّهُ مُتَقَبَّلٌ.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: عَظِيمٌ فِي اللُّغَةِ يَكُونُ لِلْكَبِيرِ وَاللِّشْرِيفِ. وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّهُ هَاهُنَا لِلشَّرِيفِ، أَي: الْمُتَقَبَّلِ.

وقال ابن عباس: هو الكبش الذي تقرب به هابيل، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به إسماعيل. وعنه أيضاً: أنه كبش أرسله الله من الجنة كان قد رعى في الجنة أربعين خريفاً. وقال الحسن: ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهيط عليه من ثبير، فذبحه إبراهيم فداءً عن ابنه، وهذا قول علي<sup>(٣)</sup>. فلما رآه إبراهيم أخذته فذبحه وأعتق ابنه. وقال: يا بُنَيَّ، اليومُ وهبت لي.

وقال أبو إسحاق الزجاج<sup>(٤)</sup>: قد قيل: إنه فدي بوغل، والوغل: التيس الجبلي وأهل التفسير على أنه فدي بكبش.

الثامنة: في هذه الآية دليل على أن الأضحية بالغنم أفضل من الإبل والبقر. وهذا مذهب مالك وأصحابه. قالوا: أفضل الضحايا الفحول من الضأن، وإنات الضأن أفضل من فحل المعز، وفحول المعز خير من إناتها، وإنات المعز خير من الإبل والبقر. وحجتهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدَّيْنَهُ بِذَبِجٍ عَظِيمٍ﴾ أي: ضخم الجنة سمين، وذلك كبش لا جمل ولا بقرة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٤.

(٢) في معاني القرآن ٦/٥١.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٩/٦٠٠ - ٦٠٤. والأروى: غنم الجبل، وثبير: جبل بمكة. النهاية (أرو) و(ثبير).

(٤) في معاني القرآن ٤/٣١٢.

وروى مجاهد وغيره عن ابن عباس أنه سأله رجل: إني نذرتُ أن أنحرَ ابني؟ فقال: يجزيك كبشٌ سمين<sup>(١)</sup>، ثم قرأ: ﴿وَقَدَيْتَهُ بَدِيحٍ عَظِيمٍ﴾.

وقال بعضهم: لو علم الله حيواناً أفضلَ من الكبش لَفَدَى به إسحاق.

وضَحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين<sup>(٢)</sup>. وأكثر ما ضحَّى به الكباش. وذكر ابن

أبي شيبة عن ابن عُليَّة، عن الليث، عن مجاهد قال: الذَّبْحُ العظيم الشاة<sup>(٣)</sup>؟

التاسعة: واختلفوا أيما أفضل: الأضحية أو الصدقة بثمانها. فقال مالك

وأصحابه: الضَّحِيَّةُ أفضلُ إلا بمنى؛ لأنه ليس موضع الأضحية؛ حكاها أبو عمر<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن المنذر: روينا عن بلال أنه قال: ما أبالي إلا أضحِّي إلا بديك، ولأن

أضعه في يتيم قد ترب فيه - هكذا قال المُحدِّث - أحبُّ إليَّ من أن أضحِّي به<sup>(٥)</sup>. وهذا

قولُ الشعبي: إنَّ الصدقةَ أفضلُ. وبه قال مالك وأبو ثور. وفيه قول ثانٍ: وهو أن

الضَّحِيَّةُ أفضلُ؛ هذا قولُ ربيعة وأبي الزناد. وبه قال أصحاب الرأي. زاد أبو عمر<sup>(٦)</sup>

وأحمد بن حنبل قالوا: الضَّحِيَّةُ أفضلُ من الصدقة؛ لأن الضَّحِيَّةَ سنةٌ وكيدة<sup>(٧)</sup> كصلاة

العيد، ومعلومٌ أن صلاةَ العيد أفضلُ من سائر النوافل، وكذلك صلواتُ السنن أفضلُ

من التطوع كَلِّه .

قال أبو عمر<sup>(٨)</sup>: وقد رُوي في فضل الضحايا آثارٌ حسان؛ فمنها ما رواه سعيد بن

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٩٠٤)، وفيه وفي التمهيد ٢٩/٢٢ - والكلام منه - أن السائل نذر أن ينحر نفسه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦) من حديث أنس ؓ، وسلف ٤٠٤/١٤ .

(٣) التمهيد ٢٩/٢٢ .

(٤) في التمهيد ١٩٢/٢٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨١٥٦)، وفيه: .. ولأن أتصدَّق بثمانها على يتيم أو مغبر أحبُّ إليَّ..

(٦) في التمهيد ١٩٢/٢٣ .

(٧) في (م): مؤكدة، وكلاهما بمعنى.

(٨) في التمهيد ١٩٢/٢٣ - ١٩٣ .

داود بن أبي زَنْبَر<sup>(١)</sup>، عن مالك، عن ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ نَفَقَةٍ بَعْدَ صِلَةِ الرَّحْمِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ». قال أبو عمر: وهو حديثٌ غريبٌ من حديث مالك .

وعن عائشة قالت: يا أيها الناس، ضَحُّوا وَطَيِّبُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تَوَجَّهَ بِأُضْحِيَّتِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ إِلَّا كَانَ دَمُهَا وَقَرْنُهَا وَصُوفُهَا حَسَنَاتٍ مُحَضَّرَاتٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الدَّمَ إِنْ وَقَعَ فِي التَّرَابِ فَإِنَّمَا يَقَعُ فِي حِرْزِ اللَّهِ حَتَّى يُوفِيَهُ صَاحِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ». وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ أَيْضاً عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي<sup>(٢)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَطْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ، فَطَيِّبُوا بِهَا نَفْسَكُمْ» قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ<sup>(٣)</sup>.

العاشرة: الضحية ليست بواجبة، ولكنها سنة ومعروف. وقال عكرمة: كان ابن عباس يبعثني يوم الأضحى بدرهمين أشتري له لحماً، ويقول: مَنْ لَقِيَتْ فَقُلْ: هَذِهِ أُضْحِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ .

قال أبو عمر<sup>(٤)</sup>: وَمَحْمَلُ هَذَا وَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ أَنَّهُمَا لَا يُضَحِّيَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِثَلَاثِ يُعْتَقَدُ فِي الْمَوَاطِبَةِ عَلَيْهَا أَنَّهَا وَاجِبَةٌ فَرَضٌ، وَكَانُوا أُمَّةً يَقْتَدِي بِهِمْ

(١) قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب ص ١٧٥: صدوق، له مناكير عن مالك، ويقال: اختلط عليه بعض حديثه، وكذبه عبد الله بن نافع في دعواه أنه سمع من لفظ مالك.

(٢) في النسخ الخطية: إنه ليأتي، والمثبت من (م)، وهو الموافق لسنن الترمذي.

(٣) سنن الترمذي (١٤٩٣) وقول الترمذي فيه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث هشام بن عروة: لا من هذا الوجه. قال ابن العربي في عارضة الأحوذى ٦/٢٨٨: ليس في فضل الأضحية حديث صحيح.

(٤) في التمهيد ٢٣/١٩٤ - ١٩٥، وما قبله منه. وخبر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه عبد الزاق في مصنفه (٨١٤٦).

مَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي دِينِهِ إِلَيْهِمْ؛ لَأَنْهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ، فَسَاغَ لَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ فِي ذَلِكَ مَا لَا يَسُوغُ الْيَوْمَ لِغَيْرِهِمْ .

وقد حكى الطحاوي في «مختصره»<sup>(١)</sup>: وقال أبو حنيفة: الأضحى واجب على المقيمين الواجدين من أهل الأمصار، ولا تجب على المسافر. قال: ويجب على الرجل من الأضحى على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه عن نفسه. وخالفه أبو يوسف ومحمد فقالا: ليست بواجبة، ولكنها سنة غير مَرخَّص لمن وجد السبيل إليها في تركها. قال: وبه نأخذ .

قال أبو عمر<sup>(٢)</sup>: وهذا قول مالك؛ قال: لا ينبغي لأحد تركها مسافراً كان أو مقيماً، فإن تركها فبئس ما صنع إلا أن يكون له عذر إلا الحاج بمنى. وقال الإمام الشافعي: هي سنة على جميع الناس وعلى الحاج بمنى، وليست بواجبة. وقد احتج من أوجبها بأن النبي ﷺ أمر أبا بردة بن نيار أن يُعيد ضحية أخرى<sup>(٣)</sup>؛ لأن ما لم يكن فرضاً لا يؤمر فيه بالإعادة .

احتج الآخرون بحديث أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يُضحى»<sup>(٤)</sup> قالوا: فلو كان ذلك واجباً لم يجعل ذلك إلى إرادة المُضحى. وهو قول أبي بكر وعمر وأبي مسعود البدرى وبلال.

الحادية عشرة: والذي يُضحى به بإجماع المسلمين الأزواج الثمانية: وهي: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر<sup>(٥)</sup>.

قال ابن المنذر: وقد حكي عن الحسن بن صالح أنه قال: يُضحى ببقرة الوحش

(١) ص ٣٠٠، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ١٨٩/٢٣، والاستذكار ١٥٨/١٥ .

(٢) في التمهيد ١٩١/٢٣ - ١٩٢، والاستذكار ١٥٥/١٥ - ١٥٦ .

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٨٥)، والبخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١)، وسلف قسم منه ٧٥/٢ .

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٤٧٤)، ومسلم (١٩٧٧)، وتتمته: «.. فلا يمس من شعره وبشره شيئاً» .

(٥) التمهيد ١٨٨/٢٣ .

عن سبعة، وبالطَّبي عن رجل. وقال الإمام الشافعي<sup>(١)</sup>: لو نزا ثورٌ وحشيٌّ على بقرة إنسيّة، أو ثورٌ إنسيٌّ على بقرة وحشية لا يجوز شيء من هذا أضحيةً. وقال أصحاب الرأي: جائز<sup>(٢)</sup>؛ لأن ولدها بمنزلة أمّه. وقال أبو ثور: يجوز إذا كان منسوباً إلى الأنعام.

الثانية عشرة: قد مضى في سورة «الحج»<sup>(٣)</sup> الكلامُ في وقت الذبح والأكل من الأضحية مستوفى. وفي «صحيح مسلم»: عن أنس قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبَّحهما بيده وسَمَّى وكبَّر، ووضع رجله على صفاحهما». في رواية قال: «ويقول: بسم الله والله أكبر<sup>(٤)</sup>». وقد مضى في آخر «الأنعام» حديثُ عمران بن حصين<sup>(٥)</sup>، ومضى في «المائدة» القولُ في التذكية وبيانها وما يُذكَّى به، وأن ذكاة الجنين ذكاة أمّه مستوفى<sup>(٦)</sup>.

وفي «صحيح» مسلم: عن عائشة أن رسولَ الله ﷺ أمر بكبشٍ أقرنَ يظأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظرُ في سواد فأتي به ليضحِّي به، فقال لها: «يا عائشة، هلُمِّي المُدِيَةَ» ثم قال: «اشحذِها بحجر» ففعلت، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه، ثم قال: «بسم الله، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد» ثم ضحَّى به<sup>(٧)</sup>.

وقد اختلف العلماء في هذا فكان الحسنُ البصري يقول في الأضحية: بسم الله والله أكبر، هذا منك ولك، تقبل من فلان. وقال مالك. إن فعلَ ذلك فحسن، وإن لم

(١) في الأم ١٦/٢ .

(٢) يعني في الحالة الأولى.

(٣) ٣٦٦/١٤ وما بعدها.

(٤) صحيح مسلم (١٩٦٦) وسلف في المسألة الثامنة وفي ٤٠٣/١٤ .

(٥) ١٤٣/٩ .

(٦) ٢٧٤/٧ وما بعدها.

(٧) صحيح مسلم (١٩٦٧)، وهو في مسند أحمد (٢٤٤٩١).

يفعلُ وسمَّى اللهَ أجزاءه. وقال الشافعي: والتسميةُ على الذبيحة: بسم الله، فإن زاد بعد ذلك شيئاً من ذُكر الله، أو صلَّى على محمد عليه الصلاة والسلام لم أكرهه، أو قال: اللهم تقبَّلْ مني، أو قال: تقبَّلْ من فلان فلا بأس. وقال النعمان: يُكره أن يذكرَ مع اسمِ الله غيره<sup>(١)</sup>؛ يُكره أن يقول: اللهم تقبَّلْ من فلان عند الذَّبْح. وقال: لا بأس إذا كان قبلَ التسمية وقبلَ أن يضجعَ للذَّبْح. وحديث عائشة يردُّ هذا القول. وقد تقدَّم أن إبراهيم عليه السلام قال لما أراد ذبح ابنه: الله أكبرُ والحمد لله. فبقي سنة<sup>(٢)</sup>.

الثالثة عشرة: روى البراء بن عازب أن رسولَ الله ﷺ سُئل: ماذا يُتَقَى من الضحايا؟ فأشار بيده وقال: «أربعاً» وكان البراء يُشير بيده ويقول: يدي أقصرُ من يدي رسول الله ﷺ: «العرجاء البيئُ ظَلَعُها، والعوراء البيئُ عَوْرُها، والمريضة البيئُ مرضُها، والعجفاء التي لا تُنقي» لفظ مالك، ولا خلاف فيه<sup>(٣)</sup>. واختلف في اليسير من ذلك.

وفي الترمذي: عن عليّ عليه السلام قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نستشرفَ العينَ والأذنَ وألاً نُصَحِّي بمقابلة ولا مُدَابرة ولا شَرْقاء ولا خَرْقاء. قال: والمُقابلة: ما قُطِعَ طرفُ أذنها، والمُدَابرة: ما قُطِعَ من جانب الأذن، والشَرْقاء المشقوقة، والخَرْقاء المثقوبة؛ قال هذا حديثٌ حسن صحيح<sup>(٤)</sup>.

وفي «الموطأ» عن نافع: أنَّ عبدَ الله بن عمر كان يَتَّقِي من الضحايا والبُدن التي لم تُسَنِّنْ والتي نقصَ من خَلْقِها. قال مالك: وهذا أحبُّ ما سمعتُ إليَّ<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر قول أبي حنيفة وقول الحسن البصري السالف ابنُ قدامة في المغني ١٣/٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) في المسألة الثانية.

(٣) الموطأ ص ٤٨٢، وأخرجه أحمد (١٨٥١٠)، وأبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، وعند أحمد وأبي داود: الكسير، بدل: العجفاء. وقوله: «لا تُنقي»؛ من: أنقى، إذا صار ذا نقي، أي: مخ، فالمعنى: التي ما بقي لها مخ من غاية العجف. حاشية السندي على مسند أحمد.

(٤) سنن الترمذي (١٤٩٨)، وهو في مسند أحمد (٨٥١). وسلف ٧/٣٧.

(٥) الموطأ ص ٤٨٢.

قال القتيبي: لم تُسَنَّ، أي: لم تَنْبُثْ أسنانها، كأنها لم تُعْطَ أسناناً. وهذا كما يقال: فلانٌ لم يُلبَّنْ، أي: لم يُعْطَ لبناً، ولم يُسَمَّنْ، أي: لم يُعْطَ سمناً، ولم يُعَسَلْ أي: لم يُعْطَ عسلاً<sup>(١)</sup>. وهذا مثل النهي في الأضاحي عن الهتماء.

قال أبو عمر<sup>(٢)</sup>: ولا بأس أن يُضْحِيَّ عند مالك بالشاء الهتماء إذا كان سقوط أسنانها من الكِبَر والهَرَم وكانت سميئة؛ فإن كانت ساقطة الأسنان وهي فتية لم يَجْزُ أن يُضْحِيَّ بها، لأنه عيبٌ غير خفيف. والنقصان كله مكروه، وشرُّه وتفصيله في كتب الفقه. وفي الخبر عن النبي ﷺ: «استشرفوا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم» ذكره الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

الرابعة عشرة: ودلت الآية على أن من نَدَرَ نَحَرَ ابنه أو ذبحه أنه يفديه بكبش، كما فدى به إبراهيمُ ابنه؛ قاله ابن عباس. وعنه رواية أخرى: ينحر مئة من الإبل كما فدى بها عبدُ المطلب ابنه؛ روى الروایتين عنه الشعبي. وروى عنه القاسم بن محمد: يجزيه كفارةً يمين. وقال مسروق: لا شيء عليه<sup>(٤)</sup>.

وقال الشافعي: هو معصيةٌ يستغفر الله منها. وقال أبو حنيفة: هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شيء<sup>(٥)</sup>. وقال محمد: عليه في الحلف بنحر

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٧٧/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة التمهيد ١٧٠/٢٠ وما بعده منه. وقوله: لم تسنن، قال ابن الأثير في النهاية (سنن): رواه القتيبي بفتح النون الأولى، قال الأزهرى: وهم في الرواية، وإنما المحفوظ عن أهل الثبت والضبط بكسر النون، وهو الصواب في العربية. وقال الأزهرى: وقوله أيضاً: لم يُلبَّنْ ولم يُسَمَّنْ، أي: لم يُعْطَ لبناً وسمناً خطأً أيضاً، وإنما معناه: لم يُطعم سمناً، ولم يُسَقَّ عسلاً. ينظر تهذيب اللغة ٣٠٠/١٢، واللسان (سنن).

(٢) في الكافي ٤٢٢/١.

(٣) في الكشف ٣٤٩/٣، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٣٨/٤: لم أره، ونقل عن ابن الصلاح قوله فيه: هذا الحديث غير معروف ولا ثابت فيما علمناه.

(٤) الاستذكار ٥٤/١٥، وأقوال ابن عباس رضي الله عنهما أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٠٣) و(١٥٩٠٥) و(١٥٩٠٨) و(١٥٩١٠).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠٧/٤.

عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده إذا حنث<sup>(١)</sup>.

وذكره ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال: أنا أنحرُ ولدي عند مقام إبراهيم في يمين ثم حنث، فعليه هَدْيًا. قال: وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَنْحَرَ ابْنَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا أَرَادَهُ<sup>(٢)</sup>، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ. قال: وَمَنْ جَعَلَ ابْنَهُ هَدِيًّا أَهْدَى عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

قال القاضي ابن العربي<sup>(٤)</sup>: يلزمه شاةٌ كما قال أبو حنيفة؛ لأنَّ الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعاً، فألزم الله إبراهيم ذبح الولد، وأخرجه عنه بذبح شاة. وكذلك إذا نذر العبدُ ذبح ولده يلزمه أن يذبح شاة؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ أَكْبَرُ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحج: ٧٨] والإيمانُ التزامٌ أصليّ، والنذرُ التزامٌ فرعيّ؛ فيجب أن يكونَ محمولاً عليه.

فإن قيل: كيف يُؤمر إبراهيمُ بذبح الولد وهو معصيةٌ، والأمرُ بالمعصية لا يجوز. قلنا: هذا اعتراضٌ على كتاب الله، ولا يكون ذلك ممن يعتقد الإسلام، فكيف بمن يُفتي في الحلال والحرام؟! وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَعَلْنَا مَا نُنذِرُ﴾ والذي يجلو الإلباس عن قلوب الناس في ذلك: أن المعاصي والطاعات ليست بأوصافٍ ذاتية للأعيان، وإنما الطاعاتُ عبارةٌ عما تعلّق به الأمرُ من الأفعال، والمعصيةُ عبارةٌ عما تعلّق به النهي من الأفعال؛ فلما تعلّق الأمرُ بذبح الولدِ إسماعيلَ من إبراهيم صار طاعةً وابتلاءً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْءَأْتٍ لِّلْبَلَاءِ﴾ في الصبر على ذبح الولد والنفس، ولما تعلّق النهي بنا في ذبح أبنائنا صار معصيةً.

فإن قيل: كيف يصير نذراً وهو معصيةٌ؟. قلنا: إنما يكون معصيةً لو كان يقصدُ ذبح الولد بنذره ولا ينوي الفداء. فإن قيل: فلو وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو

(١) مختصر اختلاف العلماء ٢/٢٣٩.

(٢) في (م): أراد.

(٣) الاستذكار ١٥/٥٥.

(٤) في أحكام القرآن ٤/١٦٠٨ - ١٦٠٩، والكلام منه إلى آخر المسألة.

الفداء؟ قلنا: لو قَصَدَ ذلك لم يَضُرَّهُ في قَضده، ولا أثر في نَذره؛ لأنَّ نَذرَ<sup>(١)</sup> الولد صار عبارةً عن ذبح الشاة شرعاً.

الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: على إبراهيم ثناءً جميلاً في الأمم بعده؛ فما من أمة إلا تُصَلِّي عليه وتُحِبُّه. وقيل: هو دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْمَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> [الشعراء: ٨٤].

وقال عكرمة: هو السلامُ على إبراهيم<sup>(٣)</sup>، أي: سلاماً منّاً. وقيل: سلامة له من الآفات مثل: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] حَسَبَ ما تقدّم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من الذين أعطوا العبودية حقّها حتى استحقُّوا الإضافة إلى الله تعالى.

السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال ابن عباس: بُشِّرَ بنبوته، وذهب إلى أن البشارة كانت مرتين<sup>(٤)</sup>؛ فعلى هذا الذبيح هو إسحاق، بُشِّرَ بنبوته جزاءً على صبره ورضاهُ بأمر ربّه واستسلامه له.

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ أي: ثنينا عليهم النعمة وقيل: كثرنا ولدتهما؛ أي: باركنا على إبراهيم وعلى أولاده، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من ضلّبه. وقد قيل: إن الكناية في «عليه» تعودُ على إسماعيل وأنه هو الذبيح.

قال المفضل: الصحيح الذي يدلُّ عليه القرآن أنه إسماعيلُ، وذلك أنه قصَّ قصة الذبيح، فلما قال في آخر القصة: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِزْرِيْعَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ . وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على إسماعيل ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ كنى عنه؛ لأنه قد تقدّم ذكره ثم قال: ﴿وَمِن دُرَرَيْتِهِمَا﴾ فدلَّ

(١) في (ظ) و(ف) وأحكام القرآن لابن العربي: ذبح.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٦٠٥ - ٦٠٦.

(٣) النكت والعيون ٥/٦٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٥، وأخرجه الطبري ١٩/٦٠٧.

على أنها ذرية إسماعيل وإسحاق، وليس تختلف الرواة في أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة<sup>(١)</sup>.

قلت: قد ذكرنا أولاً ما يدل على أن إسحاق أكبر من إسماعيل، وأن المُبشَّر به هو إسحاق بنص التنزيل<sup>(٢)</sup>؛ فإذا كانت الإشارة بإسحاق نصّاً، فالذبيح لاشكّ هو إسحاق، وبشَّر به إبراهيم مرتين؛ الأولى بولادته، والثانية بنبوته؛ كما قال ابن عباس<sup>(٣)</sup>. ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر. و«نبيّاً» نصب على الحال، والهاء في «عليه» عائدة إلى إبراهيم، وليس لإسماعيل في الآية ذكر حتى ترجع الكناية إليه.

وأما ما روي من طريق معاوية قال: سمعت رجلاً يقول للنبي ﷺ: يا ابنَ الذبيحين؛ فضحك النبي ﷺ. ثم قال معاوية: إنَّ عبد المُطلب لما حفر بئر زمزم، نذر لله إن سَهَّلَ عليه أمرها لَيَذبحنَّ أحدَ ولده لله، فسَهَّلَ الله عليه أمرها، فوقع السهم على عبد الله، فمنعه أخوالُ بنو مخزوم، وقالوا: افدِ ابنك: فقَداهُ بمئة من الإبل، وهو الذبيح، وإسماعيل هو الذبيح الثاني<sup>(٤)</sup>. فلا حُجَّة فيه؛ لأنَّ سنَدَه لا يثبتُ على ما ذكرناه في كتاب «الإعلام في معرفة مؤلِّد المصطفى عليه الصلاة والسلام»؛ ولأنَّ العربَ تجعلُ العم أباً؛ قال الله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهما أبوه وخالته. وكذلك ما روي عن الشاعر الفرزدق عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ<sup>(٥)</sup> لو صحَّ إسنادُه فكيف وفي الفرزدق نَفْسِه مَقَالٌ!؟

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥١٣/٤، وسلف ذكر اختلاف العلماء في المأمور بذبحه في المسألة الأولى، ونقلنا ثمة قول ابن كثير أن الصحيح المقطوع به أنه إسماعيل عليه السلام

(٢) ٦٣/١٨ وما بعدها.

(٣) سلف قريباً.

(٤) أخرجه الطبري ٥٩٧/١٩ - ٥٩٨. قال ابن كثير في تفسيره ٣٥/٧: وهذا حديث غريب جداً.

(٥) أخرج عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٢٨١/٥ عن الفرزدق قال: رأيت أبا هريرة ؓ يخطب على منبر رسول الله ﷺ ويقول: إن الذي أمر بذبحه إسماعيل.

السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾ لَمَّا ذكر البركة في الذرية والكثرة قال: منهم مُحسن، ومنهم مُسيء، وأن المُسيء لا تنفعه بُنوة النبوة؛ فاليهودُ والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق، والعربُ وإن كانوا من ولد إسماعيل، فلا بدُّ من الفرق بين المُحسن والمُسيء والمؤمن والكافر، وفي التنزيل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّواهُ﴾ [المائدة: ١٨] الآية؛ أي: أبناء رُسلِ الله فرأوا لأنفسهم فضلاً. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُونُوا لَهُمُ الْقَلِيلَ ﴿١١٦﴾ وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ لَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ لَمَّا ذكر إنجاء إسحاق من الذبح، وما مَنَّ به عليه بعد النبوة، ذكر ما مَنَّ به أيضاً على موسى وهارون من ذلك. وقوله: ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قيل: من الرِّقِّ الذي لَحِقَ بني إسرائيل. وقيل: من الغرق الذي لَحِقَ فرعون.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ قال الفراء<sup>(١)</sup>: الضميرُ لموسى وهارون وحدهما؛ وهذا على أن الاثنين جمع؛ دليلاً قوله: «وَأَيَّدْنَاهُمَا» و«وَهَدَيْنَاهُمَا». وقيل: الضميرُ لموسى وهارون وقوميهما، وهذا هو الصواب؛ لأنَّ قَبْلَهُ «وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ التوراة؛ يقال: استبان كذا، أي: صار بيّناً، واستبانه فلانٌ مثل: تبيّن الشيء بنفسه وتبيّنه فلانٌ.

﴿وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الدِّينُ الْقَوِيمُ الذي لا اعوجاج فيه، وهو دينُ الإسلام.

(١) في معاني القرآن ٢/٣٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٣٥.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/٥٣.

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ يريدُ الشَّاءَ الجميل. ﴿سَأَلْتَهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١١٦ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَنْفَوْنَ ﴿١١٧﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١١٨﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمَحْضُورٌ ﴿١٢٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢١﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِنْ يَأْسِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال المفسرون: إلياسُ نبيٌّ من بني إسرائيل. وروي عن ابن مسعود قال: إسرائيلُ هو يعقوبُ، وإلياسُ هو إدريس<sup>(١)</sup>، وقرأ: «وإنَّ إدريسَ»<sup>(٢)</sup>. وقاله عكرمة. وقال: هو في مصحف عبد الله: «وإنَّ إدريسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» وانفرد بهذا القول. وقال ابن عباس: هو عمُّ اليسع<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن إسحاق وغيره: كان القِيمُ بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوقنا، ثم حزقيل، ثم لما قبض الله حزقيل النبيَّ عظمتِ الأحداثُ في بني إسرائيل، ونسوا عهدَ الله، وعبدوا الأوثان من دونه، فبعث الله إليهم إلياسَ نبياً، وتبعه اليسع وآمن به، فلما عتا عليه بنو إسرائيل دعا ربّه أن يُريخه منهم، فقبل له: اخرج يومَ كذا وكذا إلى موضع كذا وكذا فما استقبلك من شيءٍ فاركبه ولا تهبه. فخرج ومعه اليسع فقال: يا إلياسُ، ما تأمرني، فقذف إليه بكسائه من الجوّ الأعلى، فكان ذلك علامةً استخلافه إيّاه على بني إسرائيل، وكان ذلك آخرَ العهدِ به. وقطع الله على إلياسَ لذةَ المطعمِ والمشربِ، وكساه الرِّيشَ، وألبسه النُّورَ<sup>(٤)</sup>، فطار مع الملائكة، فكان إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبري ٣٨٣/٩ .

(٢) الفراءات الشاذة ص ١٢٨ ، والمحتسب ٢٢٤/٢ .

(٣) في تفسير البغوي ٣٦/٤ (والكلام فيه بنحوه): هو ابن عم اليسع.

(٤) النُّور: الزُّهر، أو الأبيض منه. القاموس (نور).

(٥) عرائس المجالس ص ٢٥٥ و٢٦٢، وينظر النكت والعيون ٦٤/٥، وتفسير البغوي ٣٦/٤.

قال ابن قتيبة: وذلك أَنَّ الله تعالى قال لإلياس: «سَلْنِي أُعْطِكَ». قال: تَرَفَعُنِي إِلَيْكَ وَتُوَخَّرَعُنِي مَذَاقَةَ الْمَوْتِ. فصار يطيرُ مع الملائكة .

وقال بعضهم: كان قد مَرَضَ وأحسَّ الموتَ فبكى، فأوحى الله إليه: لِمَ تَبْكُ؟ حرصاً على الدنيا، أو جزعاً من الموت، أو خوفاً من النار؟ قال: لا، ولا لشيء<sup>(١)</sup> من هذا وَعِزَّتِكَ، إنما جَزَعِي كَيْفَ يَحْمَدُكَ الحامدون بعدي ولا أَحْمَدُكَ، ويذكرك الذاكرون بعدي ولا أذكرك، ويصومُ الصائمون بعدي ولا أصوم، ويُصَلِّي المصلُّون ولا أُصَلِّي.

ف قيل له: «يا إِيَّاسُ، وَعِزَّتِي لَأُوخَّرَنَّكَ إِلَى وقت لا يذكُرُنِي فيه ذاكِرٌ». يعني يومَ القيامة .

وقال عبدُ العزيز بن أبي رَوَاد: إِنَّ إِيَّاسَ وَالْحَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلام يصومان شهرَ رمضانَ في كلِّ عامٍ ببيتِ المَقْدَسِ يُوافيان الموسمَ في كلِّ عامٍ<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن أبي الدنيا أنهما يقولان عند افتراقهما عن الموسم: ما شاء الله، ما شاء الله، لا يسوقُ الخَيْرُ إلا اللهُ، ما شاء الله، ما شاء الله، لا يَصْرِفُ السُّوءُ إلا اللهُ، ما شاء الله، ما شاء الله، ما يكون من نعمة فمن الله، ما شاء الله، ما شاء الله، توكلت على الله، حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد مضى في «الكهف»<sup>(٣)</sup>.

وذكر من طريق مكحول عن أنس قال: غَزَوْنَا مع رسولِ الله ﷺ حتى إذا كُنَّا بِفَجِّ الناقةِ عند الحِجْر، إذا نحن بصوت يقول: اللهمَّ اجْعَلْنِي من أُمَّةِ محمدٍ المرحومة، المغفورة لها، المَتوبِ عليها، المُستجابِ لها. فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أنسُ، انظُرْ ما هذا الصوتُ». فدخلتُ الجبلَ، فإذا أنا برجلٍ أبيضِ اللَّحيةِ والرأسِ، عليه ثيابٌ بيضٌ، طوله أكثرُ من ثلاثِ مئةِ ذراعٍ، فلما نظر إليَّ قال: أنت رسولُ النبي؟ قلت:

(١) في (م): ولا شيء.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٨١.

(٣) ١٧٠/١٣.

نعم؛ قال: إرْجِعْ إليه فَأَقْرِئْهُ مني السلام وقل له: هذا أخوك إلياسُ يُريدُ لقاءك. فجاء النبي ﷺ وأنا معه، حتى إذا كنا قريباً منه، تقدّم النبي ﷺ وتأنّخت، فتحدّثنا طويلاً، فنزل عليهما شيء من السماء شبه السُّفرة فدَعَواني فأكلتُ معهما، فإذا فيها كَمأة ورُمَّان وكَرْفَس، فلما أكلتُ قمتُ فتنحّيتُ، وجاءت سحابةٌ فاحتملتُ، فإذا أنا أنظرُ إلى بَيَاضٍ ثيابه فيها تهوي به. فقلتُ للنبي ﷺ: بأبي أنت وأُمِّي، هذا الطعامُ الذي أكلنا مِنْ السماء نزل عليه؟ فقال النبي ﷺ: «سألته عنه فقال: يأتيني به جبريلُ في كل أربعين يوماً أكّلة، وفي كلِّ حول شربة من ماء زمزم، وربما رأيتُه على الجُبِّ يملأ بالذُّلو فيشرب، وربما سَقاني»<sup>(١)</sup>.

قال ثعلب: اختلف الناسُ في قوله عز وجل هاهنا: «بَعْلًا» فقالت طائفة: البَعْل هاهنا الصَّنَم. وقالت طائفة: البعل هاهنا مَلَك. وقال ابن إسحاق: امرأة كانوا يعبدونها. والأوّل أكثر.

وروى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» قال: صنماً. وروى عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» قال: رَبًّا. النحاس: والقولان صحيحان؛ أي: أتدعون صنماً عمِلتموه ربًّا. يقال: هذا بعلُ الدار، أي: ربُّها. فالمعنى: أتدعون ربًّا اختلفتموه، و«أَتَدْعُونَ» بمعنى أُتْسَمُونَ. حكى ذلك سيبويه<sup>(٢)</sup>.

وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسُّدي: البعل الربُّ بلغة اليمن<sup>(٣)</sup>. وسمع ابن عباس رجلاً من أهل اليمن يسومُ ناقةً بمنى فقال: مَنْ بعلُ هذه؟<sup>(٤)</sup>. أي: مَنْ رَبُّها؛

(١) الهواتف لابن أبي الدنيا ص ٧٨ - ٧٩، وأخرجه بنحوه الحاكم ٦١٧/٢ ونقله المصنف عن ابن أبي الدنيا بواسطة السُّهيلي في التعريف والإعلام ص ١٠٧ - ١٠٨. قال الذهبي في التلخيص: موضوع، قَبَّحَ اللهُ مَنْ وضعه، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٢٧٥: موضوع. وقد سلفت الإشارة إليه في تفسير سورة الكهف [الآية: ٨٢] المسألة الرابعة.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٥، ومعاني القرآن له ٦/٥٥.

(٣) أخرجه الطبري ١٩/٦١٢ - ٦١٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٩/٦١٣ بنحوه، ونقله المصنف من النكت والعيون ٥/٦٤.

ومنه سُمِّي الزوج بعلاً. قال أبو دؤاد:

ورأيتُ بَعْلَكَ في الوَعَى مُتَقَلِّداً سِيفاً وَزُوحاً<sup>(١)</sup>

مقاتل: صنمٌ كسره إلياسُ وهربَ منهم. وقيل: كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فُتِنُوا به وعظَّموه حتى أخدموه أربع مئة سادن وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطانُ يدخل في جوف بَعْلٍ ويتكلم بشرِيعَة الضلالة، والسَّدنة يحفظونها ويُعلِّمونها الناس، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام. وبه سُمِّيت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي: أحسنَ من يقال له: خالق. وقيل: المعنى:

أحسن الصانعين؛ لأن الناس يصنعون ولا يخلقون<sup>(٣)</sup>.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ بالنصب في الأسماء الثلاثة قرأ الربيع بن

خُثَيْم والحسن وابن أبي إسحاق وابن وثَّاب والأعمش وحمزة والكسائي<sup>(٤)</sup>. وإليها يذهب أبو عُبيد وأبو حاتم. وحكى أبو عُبيد أنها على النعت. النحاس<sup>(٥)</sup>: وهو غلط، وإنما هو على البدل، ولا يجوز النعت ها هنا؛ لأنه ليس بتحلية.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر وشيبة ونافع بالرفع<sup>(٦)</sup>. قال أبو

حاتم: بمعنى: هو الله ربُّكم. قال النحاس: وأولى مما قال أنه مبتدأ وخبر بغير إضمار ولا حذف. ورأيتُ عليَّ بن سليمان يذهبُ إلى أن الرفع أولى وأحسن؛ لأن

(١) النكت والعيون ٦٤/٥، وقول مقاتل التالي منه. والبيت لعبد الله بن الزُّبَيْري كما في المصادر وليس لأبي دؤاد كما ذكر الماوردي، وقد سلف ٢٩١/١ وفي عدة مواضع آخر. وأبو دؤاد اسمه: جارية بن

الحجاج، كان في عصر كعب بن مأمَّة الإيادي. الشعر والشعراء ٢٣٧/١

(٢) عرائس المجالس ص ٢٥٧.

(٣) النكت والعيون ٦٥/٥.

(٤) وقرأ بها عاصم في رواية حفص. السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٧.

(٥) في إعراب القرآن ١١٧/٣، وما قبله منه.

(٦) السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٧، والنشر ٣٦٠/٢.

قبله رأسُ آية، فالاستئنافُ أولى .

ابن الأنباري<sup>(١)</sup>: مَنْ نَصَبَ أَوْ رَفَعَ لَمْ يَقِفْ عَلَى «أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» عَلَى جِهَةِ التَّمَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُتَرَجِّمٌ عَنِ «أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» مِنَ الْوَجْهِينِ جَمِيعاً.

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أخبر عن قوم إلياس أنهم كذبوه. ﴿فَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْخِزْيُومَ﴾ أي: في العذاب. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: من قومه، فإنهم نَجَوْا مِنَ الْعَذَابِ. وَقُرئ: «الْمُخْلَصِينَ» بِكسْرِ اللَّامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup>. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ تَقَدَّمَ .

﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ قراءة الأعرج وشيبة ونافع<sup>(٣)</sup>. وقرأ عكرمة وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: «سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ»<sup>(٤)</sup>. وقرأ الحسن: «سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ» بوصل الألف<sup>(٥)</sup>، كأنها «ياسين» دخلت عليها الألف واللام التي للتعريف. والمراد إلياسُ عليه السلام، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسمٌ أعجميٌّ. والعربُ تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها<sup>(٦)</sup>.

قال ابن جني<sup>(٧)</sup>: العربُ تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً؛ فياسين وإلياس والياسين شيء واحد .

الزمخشري<sup>(٨)</sup>: وكان حمزة إذا وصلَ نَصَبَ، وإذا وقَفَ رَفَعَ. وَقُرئ: «على إِيَّاسِينَ» و«إِدْرِيسِينَ وَإِدْرَسِينَ وَإِدْرَاسِينَ»<sup>(٩)</sup> على أنها لغات في إلياس وإدريس. ولعلَّ

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٩/٢ .

(٢) ٢٨/١٨ .

(٣) وهي قراءة ابن عامر .

(٤) وهي قراءة عاصم .

(٥) المحتسب ٢٢٣/٢ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٦/٣ و٤٣٨ .

(٧) ذكره عنه الشَّهيلي في الروض الأنف ٧٢/١ .

(٨) في الكشاف ٣٥٢/٣ .

(٩) المحتسب ٢٢٥/٢ .

لزيادة الياء والنون في السريانية معنى .

النحاس<sup>(١)</sup> : ومن قرأ : «سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ» فكأنه - والله أعلم - جعل اسمه إلياس وياسين، ثم سَلَمٌ على آله ؛ أي : أهل دينه ومَن كان على مذهبه، وَعَلِمَ أنه إذا سَلَمَ على آله من أجله، فهو داخلٌ في السلام؛ كما قال النبي ﷺ : «اللهم صلِّ على آلِ أبي أوفى»<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى : ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. ومن قرأ : «إلياسين» فللعلماء فيه غير قول. فروى هارون عن ابن أبي إسحاق قال : إلياسين مثل إبراهيم؛ يذهبُ إلى أنه اسمٌ له. وأبو عبيدة<sup>(٣)</sup> يذهب إلى أنه جُمع جمعَ التسليم على أنه وأهل بيته سَلَمَ عليهم؛ وأنشد :

قَدْنِي مِّنْ نَّضْرِ الْحُبَيْبِينَ قَدِي<sup>(٤)</sup>

يقال : قدني وقدي لغتان بمعنى حَسَب. وإنما يُريدُ أبا حُبَيْب عبدَ الله بن الزبير، فجمعه على أن مَنْ كان على مذهبه داخلٌ معه. وغير أبي عبيدة يرويه : الحُبَيْبِينَ، على التثنية، يُريدُ عبدَ الله ومُضْعَباً. ورأيتُ عليَّ بنَ سليمان يشرحه بأكثر من هذا؛ [قال]: فإنَّ العربَ تُسمِّي قومَ الرجل باسم الرجل الجليل منهم، فيقولون: المهالبة على أنهم سَمَوْا كلَّ رجلٍ منهم بالمهلب. قال: فعلى هذا «سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ» سَمَّى كلَّ رجلٍ منهم بإلياس. وقد ذكر سيويوه في «كتابه»<sup>(٥)</sup> شيئاً من هذا، إلا أنه ذكر أن العربَ تفعلُ هذا على جهة النسبة؛ فيقولون: الأشعرون، يريدون به التَّسَبُّب .

المهدوي: ومن قرأ : «إلياسين» فهو جمع يدخل فيه إلياس، فهو جمع إلياسي،

(١) في إعراب القرآن ٤٣٦/٣ .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨)، وسلف ٨٢/٢ .

(٣) في مجاز القرآن ١٧٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس.

(٤) الرجز لحَمِيد الأرقط، وبعده: ليس الإمام بالشَّحِيح المُلجِد. وهو في الكتاب ٣٧١/٢، والخزانة

. ٣٨٢/٥

(٥) ٤١٠/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس ٤٣٧/٣، وما قبله وما بين حاصرتين منه.

فحذفت ياء النسبة؛ كما حُذفت ياء النسبة في جمع المُكسّر في نحو المهالبة في جمع مهلبيّ، كذلك حُذفت في المسلّم فقليل: المهلبون .

وقد حكى سيبويه<sup>(١)</sup>: الأشعرون والنميرون، يُريدون الأشعريين والنميريين .

السهيليّ<sup>(٢)</sup>: وهذا لا يصحّ، بل هي لغة في إلياس، ولو أراد ما قالوه لأدخل الألف واللام كما تدخل في المهالبة والأشعريين؛ فكان يقول: «سلام على الإلياسيين» لأن العلم إذا جمع يُنكر حتى يُعرّف بالألف واللام؛ لاتقول: سلام على زيدين، بل: على الزيدين، بالألف واللام. فالإلياس عليه السلام فيه ثلاث لغات .

النحاس<sup>(٣)</sup>: واحتجّ أبو عبيدة في قراءته: «سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِيْنَ» وأنه اسمه كما أن اسمه إلياس؛ لأنه ليس في السورة سلامٌ على «آل» لغيره من الأنبياء ﷺ، فكما سُمّي الأنبياء كذا سُمّي هو. وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو، وهو غير لازم؛ لأننا بينا قول أهل اللغة أنه إذا سلّم على آله من أجله، فهو سلام عليه. والقول بأن اسمه «إلياسيين» يحتاج إلى دليل ورواية؛ فقد وقع في الأمر إشكال .

قال الماوردي<sup>(٤)</sup>: وقرأ الحسن: «سَلَامٌ عَلَى يَاسِيْنَ» بإسقاط الألف واللام<sup>(٥)</sup>، وفيه وجهان: أحدهما: أنهم آل محمد ﷺ؛ قاله ابن عباس. الثاني: أنهم آل ياسين؛ فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان: أحدهما: أنها زيدت لتساوي الآي، كما قال في موضع: ﴿طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وفي موضع آخر ﴿طُورٍ يَسِينًا﴾ [التين: ٢]، فعلى هذا يكون السلام على أهله دونّه، وتكون الإضافة إليه تشريفاً له. الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلاً في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم .

(١) المصدر السابق.

(٢) في التعريف والإعلام ص ١٤٨ .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٤٣٧ .

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٦٥ .

(٥) سلف أن الحسن قرأ: «سلام على الياسين» بغير همز.

وقال السُّهيلي<sup>(١)</sup>: قال بعض المتكلمين في معاني القرآن: آل ياسين آل محمد عليه الصلاة والسلام، ونزَع إلى قول من قال في تفسير «يس»: يا محمد. وهذا القول يَبْطُلُ من وجوه كثيرة: أحدها: أن سياقة الكلام في قصة إلياسين يلزم أن تكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسى وهارون، وأن التسليم راجع عليهم، ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لِقَوْلِ قَيْلٍ في تلك الآية الأخرى مع ضَعْفِ ذلك القول أيضاً؛ فإن «يس» و«حم» و«الم» ونحو ذلك القول فيها واحدٌ، إنما هي حروف مُقَطَّعة؛ إما مأخوذة من أسماء الله تعالى كما قال ابن عباس، وإما من صفات القرآن، وإما كما قال الشعبي: لله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح القرآن<sup>(٢)</sup>. وأيضاً فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لي خمسة أسماء»<sup>(٣)</sup> ولم يذكر فيها «يس». وأيضاً فإنَّ «يس» جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف، ولو كان اسماً للنبي ﷺ لقال: «ياسين» بالضم؛ كما قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦] وإذا بطلَ هذا القولُ لما ذكرناه؛ ف«إلياسين» هو إلياسُ المذكور، وعليه وقع التسليم.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مثل: إدريس وإدراسين، كذلك هو في مصحف ابن مسعود: ﴿وَإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم قال: «سَلَامٌ عَلَى إِدْرِاسِينَ»<sup>(٤)</sup>. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ بَجَّيْنَتْهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٢﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٣﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٥﴾ وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ تَقْلُوبًا ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ بَجَّيْنَتْهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾

(١) في التعريف والإعلام ص ١٤٨ .

(٢) سلفت هذه الأقوال، والكلام على الحروف المقطعة أول سورة البقرة ١/٢٣٧ .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم ؓ، وسلف ٩/٣٩٢ .

(٤) المحتسب ٢/٢٢٥، وسلفت الإشارة إليها قريباً.

تقدّم قصة لوط<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أي: بالعقوبة. ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُمرُونَ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾  
خاطب العرب: أي تمرّون على منازلهم وآثارهم «مُصِيبِينَ» وقت الصّباح ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾  
تمرّون عليهم أيضاً. وتمّ الكلام. ثم قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: تعتبرون وتتدبّرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٧﴾  
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٨﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ  
الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٠﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَبْعَثُونَ ﴿١٤١﴾

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يونس: هو ذو النون، وهو ابن  
متى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها إلياس، فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر  
ويونس صبي يرضع، وكانت أمُّ يونس تخدمه بنفسها وتؤانسها، ولا تدخر عنه كرامة  
تقدر عليها. ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت فلحق بالجمال، ومات ابن المرأة يونس،  
فخرجت في إثر إلياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها  
لعله يحيي لها ولدها؛ فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً من موته، فتوضأ  
وصلّى ودعا الله، فأحيا الله يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام ثم  
تابوا، حسبما تقدّم بيانه في سورة «يونس»<sup>(٣)</sup>، ومضى في «الأنبياء»<sup>(٤)</sup> قصة يونس في  
خروجه مغاضباً.

واختلف في رسالته هل كانت قبل التّقام الحوت إيّاه أو بعده.

قال الطبري<sup>(٥)</sup>: عن شهر بن حوشب: إن جبريل عليه السلام أتى يونس فقال:

(١) ١٧٣/١١ وما بعدها.

(٢) تفسير البغوي ٣٩/٤.

(٣) ٥٤/١١.

(٤) ٢٦٦/١٤، وما بعدها.

(٥) في تفسيره ٦٣٩/١٩.

انطلق إلى أهل نينوى فأنذروهم أن العذاب قد حَصَرَهُمْ. قال: ألتمس دابةً. قال: الأمرُ أعجلُ من ذلك. قال: ألتمس حذاءً. قال: الأمرُ أعجلُ من ذلك. قال: فغضب فانطلق إلى السفينة فركب، فلما ركب السفينة احتبست السفينةُ لا تتقدَّم ولا تتأخَّر. قال: فتساهموا، قال: فسُهم، فجاء الحوثُ يُصبص بذنبه؛ فنودي الحوت: أيا حوت، إنَّا لم نجعل لك يونسَ رزقاً؛ إنما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً. قال: فالتقمه الحوثُ من ذلك المكان حتى مرَّ به إلى الأُبلة<sup>(١)</sup>، ثم انطلق به حتى مرَّ به على دجلة، ثم انطلق حتى ألقاه في نينوى.

حدَّثنا الحارث قال: حدَّثنا الحسن قال: حدَّثنا أبو هلال قال: حدَّثنا شهرُ بن حوشب عن ابن عباس قال: إنما كانت رسالةُ يونس بعد ما نبذه الحوت، واستدلَّ هؤلاء بأن الرسولَ لا يخرج مُغاضباً لربِّه، فكان ما جرى منه قبل النبوة.

وقال آخرون: كان ذلك منه بعد دعائه من أرسل [إليهم]<sup>(٢)</sup> إلى ما أمره الله بدعائهم إليه، وتبليغه إيَّاهم رسالةَ ربِّه، ولكنه وعدَّهم نزولَ ما كان حدَّهم من بأس الله في وقتٍ وقتِه لهم، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله، فلما أظلم القوم العذابُ وغشِيهم - كما قال الله تعالى في تنزيله - تابوا إلى الله، فرفع الله العذاب عنهم، وبلغ يونسَ سلامتهم وارتفاعُ العذاب الذي كان وعدَّهموه، فغضب من ذلك وقال: وعدتُّهم وعداً فكذب وعدي. فذهب مغاضباً ربِّه وكرة الرجوع إليهم، وقد جرَّبوا عليه الكذب؛ رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقد مضى هذا في «الأنبياء»<sup>(٤)</sup> وهو الصحيح على ما يأتي عند قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى آلِ ثَمُودَ﴾

(١) هي بلدة على شاطئ دجلة. معجم البلدان ١/ ٧٧.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة ليست في النسخ.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/ ٣٧٥ و ٣٧٦.

(٤) ٢٦٦/١٤، وما بعدها.

ولم ينصرف يونس؛ لأنه اسمٌ أعجمي، ولو كان عربياً لانصرف وإن كانت في أوله الياء؛ لأنه ليس في الأفعال يُفعل كما أنك إذا سميت بيَعْفُر صرفته؛ وإن سميت بيَعْفُر لم تَصْرِفُه<sup>(١)</sup>.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ قال المبرّد: أصلُ أَبَقَ تباعد؛ ومنه غلامٌ أَبَقٌ. وقال غيره: إنما قيل ليونس: أَبَقٌ؛ لأنه خرج بغير أمر الله عز وجل مستتراً من الناس. ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوءة. و«الْفُلْكِ» يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ ويكون واحداً وجمعاً<sup>(٢)</sup>. وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>.

قال الترمذي الحكيم: سمّاه أَبَقاً لأنه أَبَقَ عن العبودية، وإنما العبودية تركُ الهوى وبذل النفس عند أمور الله؛ فلما لم يبذل النَّفْسَ عندما اشتدَّت عليه العزمة من المَلِكِ - حسبما تقدّم بيانه في «الأنبياء»<sup>(٤)</sup> - أثر هواه لَزِمَه اسمُ الأَبَقِ، وكانت عزيمة المَلِكِ في أمر الله لا في أمر نفسه، وبحظِّ حقِّ الله لا بحظِّ نفسه؛ فتحرّى يونس فلم يُصِبِ الصوابَ الذي عند الله، فسّمّاه: أَبَقاً، ومُليماً.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿سَاهَمَ﴾ قال المبرّد: فقارع، قال: وأصله من السَّهام التي تُجَال. ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ قال: من المغلوبين. قال الفراء<sup>(٥)</sup>: دَحَضْتُ حُجَّتَه وأدحضها الله، وأصله من الزَّلَقِ؛ قال الشاعر:

قَتَلْنَا الْمُدْحَضِينَ بِكُلِّ فَجٍّ      فقد قَرَّتْ بِقَتْلِهِمُ الْعَيُونَ<sup>(٦)</sup>

أي: المغلوبين.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٨/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٩/٣.

(٣) ٤٩٢/٢.

(٤) ٢٦٨/١٤، واسم الملك: حزقيا، كما سلف.

(٥) في معاني القرآن ٣٩٣/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٣٩/٣، وما قبله منه.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦٧/٥ ونسبه لأبي قيس.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَالْقَمَّةَ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتى بما يُلام عليه فأما المَلُوم: فهو الذي يُلام، استحقَّ ذلك أو لم يستحقَّ<sup>(١)</sup>.

وقيل: المُلِيم المَعِيب. يقال: لام الرجل إذا عمل شيئاً فصار معيباً بذلك العمل. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ قال الكسائي: لم تكسر «أن» لدخول اللام؛ لأن اللام ليست لها. النحاس<sup>(٢)</sup>: والأمر كما قال؛ إنما اللام في جواب «لولا». ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: من المصلين ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِكَّ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: عقوبة له؛ أي: يكون بطنُ الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

واختلف كم أقام في بطن الحوت؟. فقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً. الضحاك: عشرين يوماً. عطاء: سبعة أيام. مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام. وقيل: ساعة واحدة<sup>(٣)</sup>. والله أعلم.

الخامسة: روى الطبري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أراد الله - تعالى ذكره - حبسَ يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذهُ ولا تَخْدِشْ لحمًا، ولا تكسِرْ عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه من البحر؛ فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمعَ يونسُ حسّاً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه وهو في بطن الحوت: إنَّ هذا تسبيحُ دوابِّ البحر» قال: «فسبَّح وهو في بطن الحوت» قال: «فسمعتِ الملائكةُ تسيِّحه فقالوا: يا ربَّنَا، إنَّا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرضٍ غريبة» قال: «ذلك عبيد يونس عصاني فحبسْتُهُ في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبدُ الصالح الذي كان يصعدُ إليك منه في كل يوم وليلة عملٌ صالح؟ قال: نعم. فشفعوا له عند ذلك فأمرَ الحوتَ بِقَذْفِهِ فِي السَّاحِلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ سَاقِطٌ﴾»<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٣٩/٣.

(٢) في إعراب القرآن ٤٣٩/٣، وما قبله منه.

(٣) المحرر الوجيز ٤٨٦/٤، وتفسير البغوي ٤٣/٤.

(٤) تفسير الطبري ٣٨٥/١٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨/٧: فيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وكان سقمه الذي وصفه به الله تعالى ذكره: أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس قد نُشِر اللحم والعظم<sup>(١)</sup>.

وقد روي: أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونسُ ويُسبِح، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر، فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء فأسلموا؛ ذكره الزمخشري في «تفسيره»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن العربي<sup>(٣)</sup>: أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: أنه سُئل: هل<sup>(٤)</sup> الباري في جهة؟ فقال: لا، هو يتعالى عن ذلك. قيل له: ما الدليل عليه؟ قال: الدليل عليه قولُ النبي صله الله عليه وسلم: «لا تُفَضِّلوني على يونسَ بن مَتَّى»<sup>(٥)</sup> فقيل له: ما وجهُ الدليل في هذا الخبر؟ فقال: لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها ديناً<sup>(٦)</sup>. فقام رجلان فقالا: هي علينا. فقال: لا يتبع بها اثنين؛ لأنه يشقُّ عليه. فقال واحد: هي عليّ. فقال: إنَّ يونسَ بن مَتَّى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت، فصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث، ونادى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] كما أخبر الله عنه، ولم يكن محمداً ﷺ حين جلس على الرِّفْرِف الأخضر وارتقى به صعوداً، حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقدام، وناجاه ربُّه بما ناجاه به، وأوحى إليه ما أوحى، بأقرب إلى الله تعالى من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر.

السادسة: ذكر الطبري: أن يونسَ عليه السلام لما ركب في السفينة أصاب أهلها

(١) أخرجه الطبري ٦٣/١٩ من قول ابن زيد.

(٢) الكشاف ٣/٣٥٣.

(٣) في أحكام القرآن ٤/١٦٠٩.

(٤) في النسخ: عن، والمثبت من أحكام القرآن.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (٢٣٧٧) بنحوه، وسلف ٤/٢٥٤ و١٤/٢٧٤.

(٦) في أحكام القرآن: دينه.

عاصفٌ من الريح، فقالوا: هذه بخطيئة أحدكم. فقال يونسٌ وعرفَ أنه هو صاحبُ الذنب: هذه خطيئتي، فألقوني في البحر، وأنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ فقال لهم: قد أخبرتكم أن هذا الأمرَ بذنبي. وأنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم الثانية، فكان من المدحضين، وأنهم أبوا أن يلقوه في البحر حتى أعادوا سهامهم الثالثة فكان من المدحضين. فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر، وذلك تحت الليل فابتلعه الحوت .

وروي أنه لما ركبَ في السفينة تَقَنَّعَ ورقدَ، فساروا غيرَ بعيدٍ إذ جاءتهم ريحٌ كادت السفينةَ أن تغرقَ، فاجتمع أهلُ السفينة فدَعَوْا فقالوا: أيقظوا الرجلَ النائم يدعو معنا؛ فدعا الله معهم فرفع الله عنهم تلك الريح. ثم انطلق يونسُ إلى مكانه فرقد، فجاءت ريحٌ كادت السفينةَ أن تغرقَ، فأيقظوه ودَعَوْا الله فارتفعت الريح .

قال: فبينما هم كذلك إذ رفع حوتٌ عظيم رأسه إليهم أراد أن يبتلع السفينةَ، فقال لهم يونس: يا قوم، هذا من أجلي، فلو طرحتموني في البحر لَسِرْتُمْ، ولَذَهَبَ الريح عنكم والرُّوعُ. قالوا: لا نطرحك حتى نتساهم، فمن وقعت عليه رَمِينَاهُ في البحر. قال: فتساهموا، فوقع على يونس؛ فقال لهم: يا قوم، اطرحوني، فمن أجلي أوتيتم؛ فقالوا: لا نفعل حتى نتساهم مرةً أخرى. ففعلوا فوقع على يونس. فقال لهم: يا قوم، اطرحوني، فمن أجلي أوتيتم؛ فذلك قولُ الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: وقع السهم عليه؛ فانطلقوا به إلى صدر السفينة ليُلقوه في البحر، فإذا الحوت، فاتحَّ فاه، ثم جاءوا به إلى جانب السفينة، فإذا بالحوت، ثم رجعوا به إلى الجانب الآخر، فإذا بالحوت فاتحَّ فاه؛ فلما رأى ذلك ألقى بنفسه فالتقمه الحوت؛ فأوحى الله تعالى إلى الحوت: إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلتُ بطنك له وعاءً. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلةً فنادى في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] وقد تقدم ويأتي .

ففي هذا من الفقه أن القرعة كانت معمولاً بها في شرع من قبلنا، وجاءت في شرعنا على ما تقدّم في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

قال ابن العربي<sup>(٢)</sup>: وقد وردت القرعة في الشرع في ثلاثة مواطن:

الأول: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن النبي ﷺ رُفِعَ إليه أن رجلاً أعتق ستة أعبدٍ لا مالَ له غيرهم، فأقرع بينهم؛ فأعتق اثنين وأرق أربعة<sup>(٤)</sup>.

الثالث: أن رجلين اختصما إليه في مواريثٍ قد درّستُ فقال: «اذهبا وتوخّيا الحق واستهما وليحلل كل واحدٍ منكما صاحبه»<sup>(٥)</sup>.

فهذه ثلاثة مواطن، وهي القسّم في النكاح، والعتق، والقسمة. وجريان القرعة فيها لرفع الإشكال وحسم داء التشهي.

واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في الغزو على قولين؛ الصحيح منهما الاقتراع؛ وبه قال فقهاء الأمصار. وذلك أن السفر بجميعهن لا يمكن، واختيار واحدة منهن إيثار، فلم يبق إلا القرعة. وكذلك في مسألة الأعبد الستة؛ فإن كل اثنين منهما ثلث، وهو القدر الذي يجوز له فيه العتق في مرض الموت، وتعيينهما بالتشهي لا يجوز شرعاً؛ فلم يبق إلا القرعة. وكذلك التشاجر إذا وقع في أعيان الموارث لم يميّز الحق إلا القرعة، فصارت أصلاً في تعيين المستحق إذا أشكل. قال: والحق

(١) ١٣٢/٥.

(٢) في أحكام القرآن ٤/١٦١٠ - ١٦١١، والكلام منه إلى آخر المسألة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٨)، ومسلم (٢٧٧٠)، وسلف ٥/١٣٣.

(٤) أخرجه أحمد (١٩٩٣٢)، ومسلم (١٦٦٨) من حديث عمران بن حصين.

(٥) قطعة من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أخرجه أحمد (٢٦٧١٧)، وأبو داود (٣٥٨٤)، وأوله: «إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض..» وأخرجه بأخصر منه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

عندي أن تجري في كل مُشْكِل، فذلك أبينُ لها، وأقوى لفصل الحُكْم فيها، وأجلى لرفع الإشكال عنها؛ ولذلك قلنا: إنَّ القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الإماء في العتق.

السابعة: الاقتراع على إلقاء الأدمي في البحر لا يجوز. وإنما كان ذلك في يونس وزمائه مقدّمةً لتحقيق برهانه، وزيادةً في إيمانه؛ فإنه لا يجوز لمن كان عاصياً أن يُقتل ولا يُرمى به في النار أو البحر، وإنما تجري عليه الحدود والتعزير على مقدار جنايته. وقد ظنَّ بعضُ الناس أن البحر إذا هال على القوم فاضطروا إلى تخفيف السفينة أن القرعة تُضربُ عليهم، فيُطرح بعضهم تخفيفاً؛ وهذا فاسدٌ؛ فإنها لا تخفُّ برمي بعض الرجال، وإنما ذلك في الأموال، ولكنهم يصيرون على قضاء الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

الثامنة: أخبر الله عز وجل أن يونس كان من المُسبِّحين، وأن تسيبته كان سبب نجاته؛ ولذلك قيل: إن العملَ الصالح يرفعُ صاحبه إذا عثر. قال ابن عباس: «مِنَ المُسبِّحين» من المُصلِّين. قال قتادة: كان يُصلِّي قبلَ ذلك لحفظ الله عز وجل له فنجاه. وقال الربيع بن أنس: لولا أنه كان له قبلَ ذلك عملٌ صالح ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَبُورُ يُبْعَثُونَ﴾ قال: ومكتوب في الحكمة: إنَّ العملَ الصالح يرفع ربّه إذا عثر<sup>(٢)</sup>.

وقال مقاتل: «مِنَ المُسبِّحين»: من المُصلِّين المُطيعين قبلَ المعصية. وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كان له صلاةٌ في بطن الحوت؛ ولكنه قدّم عملاً صالحاً في حال الرِّخاء فذكره الله به في حال البلاء، وإنَّ العملَ الصالح ليرفع صاحبه، وإذا عثر وجد مُتَّكأ<sup>(٣)</sup>. قلت: ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»<sup>(٤)</sup> فيجتهد العبد، ويحرص على خضلة من

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٦١١/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٠/٣، وتنظر الأقوال في تفسير الطبري ٦٢٨/١٩ - ٦٣٠.

(٣) ذكر قولي وهب والحسن البغوي في تفسيره ٤٣/٤.

(٤) أخرجه الدارقطني في العلل ٢٤٥/٤، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٣٧٦) من حديث الزبير بن العوام مرفوعاً، وأخرجه الدارقطني عنه موقوفاً، وقال: وهو الصحيح.

صالح عمله، يُخلص فيها بينه وبين ربّه، ويدّخرها ليوم فاقته وفقره، ويخبئها بجهدّه، ويستُرّها عن خلقه، يصلُّ إليه نفعها أحوج ما كان إليه. وقد خرّج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينما ثلاثة نفر - في رواية ممن كان قبلكم - يتماشون أخذهم المطر، فأووا إلى غارٍ في جبل فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها لعلّه يفرجها عنكم» الحديث بكامله وهو مشهور<sup>(١)</sup> شهرته أغنت عن تمامه .

وقال سعيد بن جبیر: لما قال في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فذفه الحوت<sup>(٢)</sup>. وقيل: ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ من المُصلِّين في بطن الحوت.

قلت: والأظهر أنه تسبيح اللسان الموافق للجنان، وعليه يدلُّ حديثُ أبي هريرة المذكور قبل الذي ذكره الطبري. قال: فسبح في بطن الحوت. قال: فسمعت الملائكة تسبيحه؛ فقالوا: يا ربنا، إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة<sup>(٣)</sup>. وتكون «كان» على هذا القول زائدة؛ أي: فلولا أنه من المُسَبِّحِينَ. وفي كتاب أبي داود: عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: «دعاء ذي النون في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدعُ به رجلٌ مسلمٌ في شيء قطُّ إلا استُجيب له» وقد مضى هذا في سورة «الأنبياء»<sup>(٤)</sup>.

فيونس عليه السلام كان قبلُ مصلياً مُسَبِّحاً، وفي بطن الحوت كذلك. وفي الخبر:

(١) أخرجه أحمد (٥٩٧٤) والبخاري (٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري ٦٣١/١٩.

(٣) سلف في المسألة الخامسة.

(٤) (٢٧٥/١٤)، وقد ذكرنا ثمة أننا لم نقف عليه في سنن أبي داود ولا في تحفة الأشراف، وهو في سنن

الترمذي (٣٥٠٥).

فَنُودِيَ الْحَوْتُ: إنا لم نجعلْ يونسَ لك رِزْقاً؛ إنما جعلناك له حِرْزاً ومَسجداً. وقد تقدّم (١).

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدٍ مُّكْتَبٍ ﴿١٤٧﴾ فَامْتَنُوا فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ روي أن الحوت قَدَفَه بِساحل قرية من المَوْصل. وقال ابن فُسَيْط عن أبي هريرة: طُرِحَ يونس بالعراء وأنبت الله يَقْطِينَةً، فقلنا: يا أبا هريرة، وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدُّبَّاء؛ هيَّاء الله له أَرْوِيَّةٌ (٢) وحشِيَّةٌ تأكل من حَشَّاشِ الأَرْضِ - أو هَشَّاشِ الأَرْضِ - فَتَمَشِّجُ (٣) عليه فترويه من لَبْنِهَا كُلَّ عَشِيَّةٍ وبُكْرَةَ حَتَّى نَبِت. وقال سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال: خرج به - يعني الحوت - حَتَّى لَفَظَهُ فِي سَاحِلِ البَحْرِ، فَطَرَحَهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ المَنْفُوسِ لَمْ يَنْقُصَ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ (٤).

وقيل: إن يونس لما ألقاه الحوت على ساحل البحر أنبت الله عليه شجرة من يقطين، - وهي فيما ذكر شجرة القرع - يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت إليه قوته. ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة فوجدها يَبْسَتْ، فحزن وبكى عليها فَعُوتَب؛ فقيل له: أَحْزَنْتَ عَلَى شَجَرَةٍ وَبَكَيْتَ عَلَيْهَا، وَلَمْ تَحْزَنْ عَلَى مِثْلِ أَلْفِ وَزِيَادَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي، أُسْرِيَ فِي أَيْدِي العَدُوِّ، وَأُرِدَّتْ إِيهَالِكِهِمْ جَمِيعاً (٥)؟ .

وقيل: هي شجرة التين. وقيل: شجرة الموز تغطى بورقها، واستظل بأغصانها، وأفطر على ثمارها. والأكثر على أنها شجرة اليقطين على ما يأتي.

(١) في المسألة السادسة.

(٢) الأَرْوِيَّةُ: أنثى الوعل. القاموس (روي).

(٣) الفَشْجُ: تفريح ما بين الرجلين.

(٤) أخرجهما الطبري ١٩/٦٣٥ و٦٣٢.

(٥) تفسير الطبري ١٩/٦٣٥ - ٦٣٦ بنحوه.

ثم إن الله تبارك وتعالى اجتباها فجعله من الصالحين. ثم أمره أن يأتي قومه ويُخبرهم أن الله تعالى قد تاب عليهم، فعمد إليهم حتى لقي راعياً فسأله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم، فأخبره أنهم بخير، وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم. فقال له: فأخبرهم أنني قد لقيت يونس. فقال: لا أستطيع إلا بشاهد. فسَمَّى له عنزاً من غنمه فقال: هذه تشهد لك أنك لقيت يونس. قال: وماذا؟ قال: وهذه البقعة التي أنت فيها تشهدُ لك أنك لقيت يونس. قال: وماذا؟ قال: وهذه الشجرة تشهد لك أنك لقيت يونس. وأنه رجَّع الراعي إلى قومه فأخبرهم أنه لقي يونس فكذبوه، وهموا به شراً فقال: لا تَعْجَلُوا عَلَيَّ حتى أصبح، فلما أصبح غدا بهم إلى البقعة التي لقي فيها يونس، فاستنطقها فأخبرتهم أنه لقي يونس، واستنطق الشاة والشجرة فأخبرتاهم إنه لقي يونس، ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك. ذكر هذا الخبر وما قبله الطبري رحمه الله<sup>(١)</sup>.

«فَبَدَّنَاهُ» طرحناه. وقيل: تركناه «بالعراء» بالصحراء؛ قاله ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>.  
الأخفش: بالفضاء. أبو عبيدة: الواسع من الأرض.

الفراء: العراء المكان الخالي. قال: وقال أبو عبيدة: العراء وجه الأرض<sup>(٣)</sup>؛  
وأشدد لرجل من خزاعة:

ورفعت رجلاً لا أخاف عشارها      ونَبَذْتُ بالبلدِ العراءِ ثيابي<sup>(٤)</sup>

وحكى الأخفش<sup>(٥)</sup> في قوله: «وَهُوَ سَقِيمٌ» جمع سقيم [سَقَمِي] وسقامي  
وسقام.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١/٥٤١ - ٥٤٢، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/٢٨٨. وهو في عرائس المجالس ص ٤١٣ - ٤١٤.

(٢) ياقوتة الصراط ص ٤٣٢.

(٣) مجاز القرآن ٢/١٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٦/٥٧، وقول الفراء السالف منه وعبارة مجاز القرآن: بالعراء، أي: الأرض الفضاء.

(٤) أورده المبرد في الكامل ٤/٣٦٠، والطبري في تفسيره ١٩/٦٣١.

(٥) نقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٤٠، وما بين حاصرتين الآتي منه.

وقال في هذه السورة: «فَنَبِّذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ» وقال في «نون والقلم»: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِّذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [الآية: ٤٩] والجواب: أن الله عز وجل خبَّر هاهنا أنه نبذ العراء وهو غير مذموم، ولولا رحمة الله عز وجل لَنُبِّذَ بِالْعَرَاءِ وهو مذموم؛ قاله النحاس .

وقوله: «وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ» يعني «عَلَيْهِ» أي: عنده؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ﴾ [الشعراء: ١٤] أي: عندي. وقيل: «عَلَيْهِ» بمعنى له .  
«شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ» اليقطين: شجر الدُّبَّاءِ: وقيل غيرها؛ ذكره ابن الأعرابي<sup>(١)</sup>. وفي الخبر: «الدُّبَّاءُ وَالْبَطِيخُ مِنَ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup> وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة».

وقال المبرد: يقال لكل شجرة ليس لها ساق يفترشُ ورقها على الأرض: يقطينة، نحو: الدُّبَّاءِ، والبطيخ، والحنظل، فإن كان لها ساق يُقْلُها فهي شجرة فقط، وإن كانت قائمة، أي: بعروق تفترش فهي نجمة، وجمعها: نَجْمٌ<sup>(٣)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] ورُوي نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل. قالوا: كلُّ نبت يمتدُّ ويبسط على الأرض، ولا يبقى على استواء، وليس له ساق نحو القِثَاءِ والبطيخ والقرع والحنظل فهو يقطين. وقال سعيد بن جبير: هو كلُّ شيء ينبت، ثم يموت من عامه<sup>(٤)</sup>. فيدخل في هذا الموز.

قلت: وهو مماله ساق. الجوهرى<sup>(٥)</sup>: واليقطين مالا ساق له كشجر القرع ونحوه. الزجاج<sup>(٦)</sup>: اشتقاق اليقطين من: قَطَنَ بِالْمَكَانِ، إذا أقام به، فهو يَفْعِيل.

(١) ياقوتة الصراط ص ٤٣٢ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٠/٣ .

(٤) قولاً ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير أخرجهما الطبري ٦٣٣/١٩ .

(٥) الصحاح (قطن).

(٦) في معاني القرآن ٣١٤/٤ .

وقيل: هو اسمٌ أعجميٌّ. وقيل: إنما خص اليقطين بالذكر؛ لأنه لا ينزل عليه ذباب<sup>(١)</sup>. وقيل: ما كان ثمَّ يقطين فأنبتته الله في الحال.

القشيري: وفي الآية ما يدلُّ على أنه كان مفروشاً ليكون له ظلٌّ.

الثعلبي: كانت تُظله فرأى خضرتها فأعجبته، فبيست فجعل يتحزن عليها؛ فقيل له: يا يونس، أنت الذي لم تخلق، ولم تَسق، ولم تُنبث تحزن على شجيرة، فأنا الذي خلقتُ مئة ألف من الناس أو يزيدون تُريد مني أن أستأصلهم في ساعة واحدة، وقد تابوا وتبُّ عليهم؟! فأين رحمتي يا يونس، أنا أرحمُ الراحمين<sup>(٢)</sup>.

وروي عن النبي ﷺ أنه كان يأكل الثريد باللحم والقرع. وكان يحبُّ القرع ويقول: «إنها شجرةٌ أخي يونس»<sup>(٣)</sup>.

وقال أنس: قُدِّمَ للنبي ﷺ مَرَقٌ فيه دُبَّاء وقَدِيد، فجعل يتبع الدُبَّاء من حوالى القَضعة. قال أنس: فلم أزل أحبُّ الدُبَّاء من يومئذ. أخرجه الأئمة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قد تقدّم عن ابن عباس أن رسالة يونس عليه السلام إنما كانت بعد ما نبذَه الحوت<sup>(٥)</sup>، وليس له طريقٌ إلا عن شهر بن حوشب.

النحاس<sup>(٦)</sup>: وأجودُ منه إسناداً وأصحُّ ما حدَّثناه عليّ<sup>(٧)</sup> بن الحسين قال: حدَّثنا الحسن بن محمد قال: حدَّثنا عمرو بن العنقزي قال: حدَّثنا إسرائيل، عن أبي

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٨٧.

(٢) عرائس المجالس ص ٤١٣ - ٤١٤ بنحوه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٣٩)، ومسلم (٢٠٤١).

(٥) ٩٢/١٨ - ٩٣.

(٦) في إعراب القرآن ٣/٤٤٠، وما قبله منه.

(٧) في (م): عن علي.

إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: حدّثنا عبدُ الله بن مسعود في بيت المال عن يونس النبي ﷺ قال: إنَّ يونسَ وعدَّ قومَه العذابَ وأخبرهم أنه <sup>(١)</sup> يأتِيهم إلى ثلاثة أيام، ففرّقوا بين كلِّ والدَةٍ وولدها، وخرجوا فجأروا إلى الله عز وجل واستغفروا، فكفَّ اللهُ عز وجل عنهم العذابَ، وغدا يونسُ عليه السلام ينتظر العذابَ فلم يرَ شيئاً - وكان من كذبٍ ولم تكن له بيئَةٌ قُتِلَ - فخرج يونسُ مُغاضِباً، فأتى قوماً في سفينة فحملوه وعرفوه، فلما دخل السفينة ركبت السفينةُ، والسفنُ تسير يميناً وشمالاً، فقالوا: ما لسفيتكم؟ فقالوا: لا ندري. فقال يونسُ عليه السلام: إنَّ فيها عبداً أبقأ من ربِّه جلَّ وعزَّ، وإنها لن تسيرَ حتى تُلقوه. قالوا: أمّا أنت يا نبيَّ الله فإنَّا لا نُلقيك .

قال: فافتَرعوا، فمن قرع فليَقع، فافتَرعوا فقرعهم يونسُ فأبُو أن يدعوه، قال: فافتَرعوا ثلاثاً فمن قرع فليَقع، فافتَرعوا فقرعهم يونسُ ثلاثَ مرات - أو قال: ثلاثاً - فوقع. وقد وكَّل اللهُ به جلَّ وعزَّ حوتاً فابتلعه وهو يهوي به إلى قَرار الأرض، فسمع يونسُ عليه السلام تسبيحَ الحصى ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال: ظُلمة الليل، وظُلمة البحر، وظُلمة بطن الحوت .

قال: ﴿فَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال: كهيئة الفَرْخِ الممعوط الذي ليس عليه ريش. قال: وأنبت اللهُ عليه شجرةً من يقطين فنبتت، فكان يستظلُّ بها ويُصيب منها، فبيست فبكي عليها؛ فأوحى اللهُ جل وعز إليه: أتبكي على شجرة يَبسُت، ولا تبكي على مئة ألف أو يزيدون أردت أن تُهلكهم <sup>(٢)</sup>؟! قال: وخرج رسولُ الله يونس فإذا هو بغلام يرعى؛ قال: يا غلام، من أنت؟ قال: من قوم يونس. قال: فإذا جئت إليهم فأخبرهم أنك قد لقيت يونس. قال: إن كنت يونس فقد علمت أنه من كذب قُتِل إذا لم تكن له بيئته، فمن يشهدُ لي؟ قال: هذه الشجرة وهذه البقعة. قال: فَمُرَّهما؛ فقال لهما

(١) في النسخ: أن، والمثبت من إعراب القرآن.

(٢) في (د) و(م): تهلكهم.

يونس: إذا جاءكُما هذا الغلامُ فاشهدا له. قالتا: نعم .

قال: فرجع الغلام إلى قومه وكان في مَنعة، وكان له إخوة، فأتى المَلِكَ فقال: إني قد لقيتُ يونسَ وهو يقرأ عليك السلام. قال: فأمرَ به أن يُقتل؛ فقالوا: إن له بينة، فأرسلوا معه. فأتى الشجرة والبقعة فقال لهما: نشدتكما بالله جل وعز، أتشهدان أني لقيتُ يونسَ؟ قالتا: نعم، قال: فرجع القومُ مذعورين يقولون له: شهدت له الشجرة والأرض، فأتوا الملكَ فأخبروه بما رأوا. قال عبد الله: فتناول الملكُ يدَ الغلام فأجلسه في مجلسه، وقال: أنت أحقُّ بهذا المكان مني .

قال عبد الله: فأقام لهم ذلك الغلام أمرهم أربعين سنة .

قال أبو جعفر النحاس: فقد تبين في هذا الحديث أن يونسَ كان قد أرسل قبل أن يلتقمه الحوتُ بهذا الإسناد الذي لا يُؤخذ بالقياس .

وفيه أيضاً من الفائدة أن قوم يونس آمنوا ونَدِموا قبل أن يَرَوْا العذاب؛ لأن فيه أنه أخبرهم أنه يأتيهم العذاب إلى ثلاثة أيام، ففرَّقوا بين كل والدة وولدها، وضجُّوا ضجةً واحدة إلى الله عز وجل. وهذا هو الصحيح في الباب، وأنه لم يكن حكم الله عز وجل فيهم كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا﴾ [غافر: ٨٥] وقوله عز وجل: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية [النساء: ١٨].

وقال بعض العلماء: إنهم رأوا مخائلَ العذاب فتابوا. وهذا لا يمنع<sup>(١)</sup>، وقد تقدَّم ما للعلماء في هذا في سورة «يونس» فُلْيُنظر هناك<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: «أَوْ يَزِيدُونَ» قد مضى في «البقرة»<sup>(٣)</sup> محاملُ «أو» في قوله تعالى: «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً». وقال الفراء<sup>(٤)</sup>:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٢/٣ .

(٢) ٥٤/١١ - ٥٥ .

(٣) ٢٠٥/٢ .

(٤) في معاني القرآن ٣٩٣/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٤٣/٣ .

«أو» بمعنى بل. وقال غيره: إنها بمعنى الواو، ومنه قول الشاعر:

فلما اشتدَّ أمرُ الحربِ فينا      تأمَّلنا رِياحاً أو رِزاماً<sup>(١)</sup>

أي: ورِزاماً. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ بَاصِرٍ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وقرأ جعفر بن محمد: «إلى مئة ألف ويزيدون» بغير همز<sup>(٢)</sup>؛ ف «يزيدون» في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف، أي: وهم يزيدون.

النحاس<sup>(٣)</sup>: «ولا يصحُّ هذان القولان عند البصريين، وأنكروا كونَ «أو» بمعنى بل وبمعنى الواو؛ لأن بل للإضراب عن الأوّل والإيجاب لما بعده، وتعالى الله عز وجل عن ذلك، أو خروج من شيء إلى شيء، وليس هذا موضع ذلك؛ والواو معناه خلافُ معنى «أو» فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني؛ ولو جاز ذلك لكان: وأرسلناه إلى أكثر من مئة<sup>(٤)</sup> ألف أخصر.

وقال المبرد: المعنى: وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم: هم مئة ألف أو أكثر، وإنما خوطب العباد على ما يعرفون.

وقيل: هو كما تقول: جاءني زيد أو عمرو، وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المُخاطب.

وقال الأخفش والزجاج: أي: أو يزيدون في تقديركم<sup>(٥)</sup>. قال ابن عباس: زادوا على مئة ألف عشرين ألفاً. ورواه أبي بن كعب مرفوعاً<sup>(٦)</sup>. وعن ابن عباس أيضاً:

(١) لم تقف عليه، وسلف ٣١٣/١٧.

(٢) المحتسب ٢٢٦/٢.

(٣) في إعراب القرآن ٤٤٣/٣.

(٤) في النسخ: متي ألف، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٦٦٩/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٤/٤.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٢٢٩)، والطبري ٦٣٧/١٩. قال الترمذي: هذا حديث غريب.

ثلاثين ألفاً<sup>(١)</sup>. الحسن والربيع: بضعاً وثلاثين ألفاً. وقال مقاتل بن حيان: سبعين ألفاً<sup>(٢)</sup>. ﴿فَاتَمَّتُوا فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ جَيْنٍ﴾ أي: إلى مُتَّهَىٰ آجالهم.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ بَرِّئَكَ أَلْهَمْنَا لَهُمُ الْغُيُوبَ ﴿١٤٦﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤٧﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿١٤٨﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٤٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٠﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥١﴾ فَأَتُوا بِكِنٰتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ بَرِّئَكَ أَلْهَمْنَا لَهُمُ الْغُيُوبَ﴾ لما ذكر أخبار الماضين تسليّةً للنبي ﷺ احتجّ على كفار قريش في قولهم: إنّ الملائكة بناتُ الله؛ فقال: «فَاسْتَفْتَيْهِمْ». وهو معطوفٌ على مثله في أول السورة وإنّ تباعدت بينهم المسافة؛ أي: فسَلِّ يا محمد أهل مكة: «أَلْبَرِّئَكَ الْبَنَاتِ». وذلك أن جُهَيْنَةَ وَخُزَاعَةَ وَبَنِي مُلَيْحٍ وَبَنِي سلمة وعبد الدار زعموا أن الملائكة بناتُ الله. وهذا سؤالٌ توبيخ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ أي: حاضرُونَ لِخَلْقِنَا إِيَّاهُمْ إِنثًا؛ وهذا كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]<sup>(٣)</sup>. ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ وهو أسوأُ الكذب ﴿لَيَقُولُونَ﴾. وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: إنّ لله ولداً وهو الذي لا يلدُ ولا يولد.

و«إنّ» بعد «ألا» مكسورة؛ لأنها مبتدأة. وحكى سيبويه أنها تكون بعد أما مفتوحة أو مكسورة؛ فالفتح على أن تكون أما بمعنى حقاً، والكسر على أن تكون أما بمعنى ألا.

النحاس<sup>(٤)</sup>: وسمعتُ علي بن سليمان يقول: يجوز فتحها بعد ألا تشبيهاً بأمّا،

(١) أخرجه الطبري ٦٣٧/١٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٦٣٧/١٩ من قول سعيد بن جبير.

(٣) تفسير البغوي ٤٤/٤ بنحوه.

(٤) في إعراب القرآن ٤٤٣/٣ - ٤٤٤ ، وما قبله منه.

وأما في الآية فلا يجوز إلا كسرُها؛ لأن بعدها اللام<sup>(١)</sup>.

وتمام الكلام «لَكَاذِبُونَ». ثم ابتدئ ﴿أَصْطَفَى﴾ على معنى التقرير والتوبيخ كأنه قال: وَنَحْكَمْ «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ» أي: أختار البنات وترك البنين؟.

وقراءة العامة: «أَصْطَفَى» بقطع الألف؛ لأنها ألفت استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها، مثل: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾<sup>(٢)</sup> [مريم: ٧٨] على ما تقدم.

وقرأ أبو جعفر وشيئة ونافع وحزمة: «اصْطَفَى» بوصل الألف على الخبر بغير استفهام<sup>(٣)</sup>. وإذا ابتداء كسر الهمزة. وزعم أبو حاتم أنه لا وجه لها؛ لأن بعدها ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ فالكلام جارٍ على التوبيخ. [قال أبو جعفر<sup>(٤)</sup>: هذه القراءة وإن كانت شاذة فهي تجوز من جهتين: إحداهما: أن يكون تبييناً وتفسيراً لما قالوه من الكذب ويكون ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ منقطعاً مما قبله. والجهة الثانية: أنه قد حكى النحويون - منهم الفراء - أن التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما قال جل وعز: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبِنَا فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقيل: هو على إضمار القول، أي: ويقولون: «اصطفى البنات» أو يكون بدلاً من قوله: «وَلَدَ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup> لَأَنَّ ولادة البنات واتخاذهنَّ اصطفاً لهنَّ، فأبدل مثال الماضي من مثال الماضي، فلا يوقف على هذا على «لَكَاذِبُونَ».

﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ في أنه لا يجوز أن يكون له ولد. ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ حُجَّة

(١) في النسخ: الرفع، والمثبت من إعراب القرآن.

(٢) تفسير البغوي ٤٤/٤ بنحوه.

(٣) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/٣٦٠، وقراءة نافع وحزمة - وهي غير المشهورة عنهما - ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٤٤/٣، والكلام منه بنحوه.

(٤) هو النحاس وما بين حاصرتين منه من إعراب القرآن له.

(٥) الكشاف ٣/٣٥٤ بنحوه.

وَبُرْهَانَ. ﴿فَأَتُوا بِكِسْفٍ﴾ أي: بحججكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ أكثر أهل التفسير أن الجنة هاهنا

الملائكة. روى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: قالوا - يعني كفار قريش - : الملائكة بناتُ الله جل وتعالى. فقال: أبو بكر الصديق ؓ: فمن أمهاتهنَّ. قالوا: مُخَدَّرَاتُ الجنِّ<sup>(١)</sup>.

وقال أهل الاشتقاق: قيل لهم: جنَّة، لأنهم لا يُرَوْنَ<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: إنهم

بطنُّ من بطون الملائكة يقال لهم: الجنَّة<sup>(٣)</sup>.

وروي عن ابن عباس. وروي إسرائيل عن السدي عن أبي مالك قال: إنما قيل

لهم: جنَّة؛ لأنهم خُرَّانٌ على الجنان والملائكة كلُّهم جنَّة<sup>(٤)</sup>.

«نَسْبًا» مصاهرة. قال قتادة والكلبي ومقاتل: قالت اليهودُ لعَنهم الله: إنَّ الله

صاهر الجنَّ، فكانت الملائكة من بينهم. وقال مجاهد والسدي ومقاتل أيضاً: القائلُ

ذلك كِنانة وخُزاعة؛ قالوا: إنَّ الله خطبَ إلى ساداتِ الجنِّ فزوَّجوه من سَرَواتِ

بناتهم، فالملائكة بناتُ الله من سَرَواتِ بناتِ الجنِّ. وقال الحسن: أشركوا الشيطانَ

في عبادة الله، فهو النَّسب الذي جعلوه<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن للنحاس ٦/٦٥، وأخرجه الطبري ١٩/٦٤٥ مخدرات، جمع مخدرة، قال ابن الأثير في

النهاية (خدر): الخُدْر: ناحية في البيت.. تكون فيه الجارية البكر، خُدَّرت، فهي مُخَدَّرَةٌ. اهـ، وفي

تفسير الطبري: سَرَواتِ الجن. يعني أشرافهم. اللسان (سرو).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤٤.

(٣) النكت والعيون ٥/٧١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤٤.

(٥) ذكر هذه الأقوال بنحوها الماوردي في النكت والعيون ٥/٧٠ - ٧١.

قلت: قول الحسن في هذا أحسن؛ دليله قوله تعالى: ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّيَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨] أي: في العبادة. وقال ابن عباس والضحاك والحسن أيضاً: هو قولهم إن الله تعالى وإبليس أخوان؛ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

قوله تعال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني قائل هذا القول ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: للحساب<sup>(٢)</sup>.

الثعلبي: الأول أولى؛ لأن الإحضار تكرر في هذه السورة، ولم يُرد الله به غير العذاب. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ أي: تنزيهاً لله عما يصفون. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فإنهم ناجون من النار.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّكُرُ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْتِينَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَاتَّكُرُ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ «ما» بمعنى الذي. وقيل: بمعنى المصدر، أي: فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام. وقيل: أي: فإنكم مع ما تعبدون من دون الله؛ يقال: جاء فلان وفلان. وجاء فلان مع فلان. ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على الله ﴿بِفَعْتِينَ﴾ بمضلين<sup>(٣)</sup>.

النحاس<sup>(٤)</sup>. أهل التفسير مُجمعون فيما علمت على أن المعنى: ما أنتم بمضلين أحداً إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يضل.

وقال الشاعر:

(١) أخرجه الطبري ٦٤٤/١٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) النكت والعيون ٧١/٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٦٤٦/١٩.

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/٣٥٥، وينظر الدر المصون ٩/٣٣٥.

(٤) في إعراب القرآن ٣/٤٤٥.

فردَّ بنعمته كيدهُ عليه وكان لنا فاتنا  
أي: مُضِلًّا<sup>(١)</sup>.

الثانية: في هذه الآية ردُّ على القَدْرِيَّة. قال عمر<sup>(٢)</sup> بن ذر: قَدِمْنَا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ  
الْعَزِيزِ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الْقَدْرَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَلَّا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ وَهُوَ رَأْسُ  
الْخَطِيئَةِ، وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَعَلْمًا فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، عَرَفَهُ مِنْ عَرَفَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ  
جَهَلَهُ؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْتَدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعَيْنِينَ﴾ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ  
أَنْ يَصَلَّى الْجَحِيمِ. وَقَالَ: فَصَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

وفيها من المعاني أن الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحدٍ إلا من كتَبَ الله عليه  
أنه لا يهتدي، ولو علم الله جلَّ وعزَّ أنه يهتدي لَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ؛ وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجِّلْكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] أي: لَسْتَ تَصِلُ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ  
إِلَّا إِلَى مَا فِي عِلْمِي<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ لَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي تَثْبِيثِ الْقَدْرِ فَاحْسَنَ:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفْلٍ      وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلُ  
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نِدْلَهُ      بِيَدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ  
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى      نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضْلُ<sup>(٥)</sup>

قال الفراء<sup>(٦)</sup>: أهلُ الحجاز يقولون: فتنُّ الرجل، وأهل نجد يقولون: أفتته.

الثالثة: رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَرَأَ: «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٌ الْجَحِيمِ» بضم اللام.

(١) النكت والعيون ٧٢/٥.

(٢) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): عمرو، والمثبت من (ف). وهو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني،  
المرهبي، أبو ذر الكوفي، رُمي بالإرجاء. تهذيب التهذيب ٢٢٣/٣.

(٣) أخرجه بنحوه الآجري في الشريعة ص ٢٣٠، واللا لكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٤٥)،  
والبيهقي في الاعتقاد ص ١٠٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٥/٣.

(٥) ديوان لبيد ص ١٧٤، والبيت الأول سلف ٤٤٣/٩.

(٦) في معاني القرآن ٣٩٤/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٤٥/٣.

النحاس<sup>(١)</sup>: وجماعة أهل التفسير يقولون: إنه لحن؛ لأنه لا يجوز: هذا قاضُ المدينة. ومن أحسن ما قيل فيه ما سمعتُ عليَّ بن سليمان يقوله؛ قال: هو محمولٌ على المعنى؛ لأن معنى «مَنْ» جماعة؛ فالتقدير: صالون؛ فحذفت النون للإضافة، وحُذفت الواو لالتقاء الساكنين. وقيل: أصله فاعل إلا أنه قلب من صالٍ إلى صايل، وحذفت الياء وبقيت اللام مضمومةً، فهو مثل: «شَفَا جُرْفٍ هَارٍ».

ووجهٌ ثالث: أن تحذف لام «صال» تخفيفاً، وتجري الإعراب على عينه، كما حُذف من قولهم: ما باليت به بالة. وأصلها: بالية، من بالى، كعافية من عافى؛ ونظيره قراءةٌ من قرأ: «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ»<sup>(٢)</sup> [الرحمن: ٥٤]، «وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنشآتُ»<sup>(٣)</sup> [الرحمن: ٢٤] أجرى الإعراب على العين<sup>(٤)</sup>. والأصل في قراءة الجماعة: صالي، بالياء، فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

هذا من قول الملائكة تعظيماً لله عز وجل، وإنكاراً منهم عبادة من عبدهم. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾. قال مقاتل: هذه الثلاث الآيات نزلت ورسول الله ﷺ عند سيدة المنتهى، فتأخر جبريل، فقال النبي ﷺ: «أهنا تُفارقني» فقال: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني<sup>(٥)</sup>. وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الآيات.

والتقدير عند الكوفيين: وما منا إلا من له مقامٌ معلوم، فحذف الموصول.

(١) في إعراب القرآن ٣/٤٤٥ - ٤٤٦، وما قبله منه، وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢/٢٢٨.

(٢) لم نقف على من قرأ بها.

(٣) قرأ بها ابن مسعود والحسن كما في القراءات الشاذة ص ١٤٩.

(٤) الكشف ٣/٣٥٦، وينظر البيان لأبي البركات الأنباري ٢/٣١٠.

(٥) لم نقف عليه.

والتقدير عند الكوفيين: وما منا إلا مَنْ له مقامٌ معلوم، فحذف الموصول. وتقديره عند البصريين: وما منا مَلَكٌ إلا له مقامٌ معلوم<sup>(١)</sup>؛ أي: مكان معلوم في العبادة؛ قاله ابن مسعود وابن جُبَيْر<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: ما في السماوات موضعٌ شبرٍ إلا وعليه مَلَكٌ يُصَلِّي وَيُسَبِّح<sup>(٣)</sup>. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «ما في السماء موضعٌ قَدَمٌ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ<sup>(٤)</sup>».

وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمعُ ما لا تسمعون أَطَّتِ السماءُ وَحُقَّ لها أن تَنَظَّ، ما فيها موضعٌ أربعِ أصابعٍ إلا وَمَلَكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله، والله، لو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كثيراً، وما تلذذْتُمْ بالنساءِ على الفُرشِ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله» لَوَدِدْتُ أني كنتُ شجرةً تُعَصَّد. خرجه أبو عيسى الترمذي<sup>(٥)</sup>، وقال فيه: حديث حسن غريب. ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذرٍّ قال: لَوَدِدْتُ أني كنتُ شجرةً تُعَصَّد<sup>(٦)</sup>. ويروى عن أبي ذرٍّ موقوفاً<sup>(٧)</sup>.

وقال قتادة: كان يُصَلِّي الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾. قال: فتقدَّم الرجال وتأخَّر النساء<sup>(٨)</sup>.

﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّابِرُونَ﴾ قال الكلبي: صفوفُهم كصفوفِ أهل الدنيا في الأرض<sup>(٩)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»: عن جابر بن سَمُرَةَ قال: خرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحن

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٦/٣.

(٢) النكت والعيون ٧٢/٥.

(٣) تفسير البغوي ٤٥/٤.

(٤) أخرجه الطبري ٦٥١/١٩.

(٥) في سننه (٢٣١٢)، وسلف ٤٢٨/٥.

(٦) أخرجه أحمد (٢١٥١٦).

(٧) أخرجه الحاكم ٥٧٩/٤ مختصراً على قوله: لو تعلمون ما أعلم... إلى آخره.

(٨) النكت والعيون ٧٢/٥.

(٩) تفسير البغوي ٤٥/٤.

كيف تُصَفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»<sup>(١)</sup>.

وكان عمر يقول إذا قام للصلاة: أقيموا صُفُوفَكُمْ واستووا، إنما يريدُ الله بكم هَدْيَ الملائكةِ عند ربِّها ويقرأ: ﴿وَلِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ تأخَّر يا فلان، تقدَّم يا فلان؛ ثم يتقدَّم فَيَكْبِرُ<sup>(٢)</sup>. وقد مضى في سورة «الحجر» بيانه<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو مالك: كان الناسُ يُصَلُّونَ مُتَبَدِّدِينَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ فأمرهم النبي ﷺ أن يَصْطَفُّوا<sup>(٤)</sup>.

وقال الشعبي: جاء جبريلُ أو ملكٌ إلى النبي ﷺ فقال: تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وتُثَلِّثُ؛ إنَّ الملائكةَ لتُصَلِّي وتُسَبِّح، ما في السماء ملك فارغ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: أي: لَنَحْنُ الصَّافُونَ أجنحتنا في الهواء وقوفاً ننتظر ما نُؤَمَّرُ به. وقيل: أي: نحن الصافن حول العرش.

﴿وَلِنَّا لَنَحْنُ السَّابِقُونَ﴾ أي: المُصَلِّونَ؛ قاله قتادة. وقيل: أي: المُنْزَهُونَ اللّهَ عَمَّا أضافه إليه المشركون<sup>(٦)</sup>. والمراد أنهم يُخْبِرُونَ أنهم يعبدون الله بالتسبيح والصلاة، وليسوا معبودين ولا بناتِ الله.

وقيل: ﴿وَمَا يَنَّا إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ من قول الرسول ﷺ والمؤمنين للمشركين؛ أي: لكل واحدٍ منا ومنكم في الآخرة مقامٌ معلوم، وهو مقامُ الحساب. وقيل: أي: مِنَّا من له مقامُ الخوف، وَمِنَّا من له مقامُ الرَّجَاءِ، وَمِنَّا من له مقامُ الإخلاص، وَمِنَّا من له مقامُ الشُّكْرِ، إلى غيرها من المقامات.

(١) صحيح مسلم (٤٣٠)، وهو في مسند أحمد (٢٠٩٦٤).

(٢) أخرجه الطبري ٦٥٣/١٩.

(٣) ٢٠١/١٢ - ٢٠٢.

(٤) النكت والعيون ٧٢/٥.

(٥) ذكره أبو الليث في تفسيره ١٢٦/٣ دون نسبة.

(٦) النكت والعيون ٧٢/٥.

قلت: والأظهر أن ذلك راجع إلى قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

عاد إلى الإخبار عن قول المشركين، أي: كانوا قبل بعثة محمد ﷺ إذا عُيروا بالجهل قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ﴾ أي: لو بُعث إلينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه.

ولما خففت «إن» دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقاً بين النفي والإيجاب. والكوفيون يقولون: «إن» بمعنى ما، واللام بمعنى إلا<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً من كتب الأنبياء ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: لو جاءنا ذكر كما جاء الأولين لأخلصنا العبادة لله. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالذكر. والفراء<sup>(٢)</sup> يُقدِّره على حذف؛ أي: فجاءهم محمد ﷺ بالذكر فكفروا به. وهذا تعجبٌ منهم، أي: فقد جاءهم نبيٌّ وأنزل عليهم كتابٌ فيه بيانٌ ما يحتاجون إليه فكفروا وما وفوا بما قالوا.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قال الزجاج<sup>(٣)</sup>: يعلمون مَعْبَةٌ كُفْرِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِنِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرِ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الفراء<sup>(٤)</sup>: أي: بالسعادة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤٦ - ٤٤٧.

(٢) في معاني القرآن ٢/٣٩٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٤٧.

(٣) في معاني القرآن ٤/٣١٦، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٤٧.

(٤) في معاني القرآن ٢/٣٩٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٤٧.

وقيل: أراد بالكلمة قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾<sup>(١)</sup> [المجادلة: ٢١] قال الحسن: لم يُقتل من [الرُّسُل] أصحابِ الشرائع قط أحد<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ أي: سبق الوعدُ بنصرهم بالحُجَّةِ والغلبة. ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على المعنى، ولو كان على اللَّفْظِ لكان: هو الغالبُ مثل ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾. وقال الشَّيبَانِي<sup>(٣)</sup>: جاء هاهنا على الجمع من أجل أنه رأسُ آية.

قوله تعالى: ﴿قَوْلًا عَنَّهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عنهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال قتادة: إلى الموت. وقال الزجاج<sup>(٤)</sup>: إلى الوقت الذي أمهلوا إليه. وقال ابن عباس: يعني القتل بيدر. وقيل: يعني فتح مكة. وقيل: الآية منسوخةُ بآيةِ السيف<sup>(٥)</sup>.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قال قتادة: سوف يُبصروه حين لا يَنفَعُهُمُ الْإِبْصَارُ<sup>(٦)</sup>. وعسى من الله للوجوب<sup>(٧)</sup>، وعبرَ بالإبصار عن تقريب الأمر؛ أي: عن قريب يُبصرون. وقيل: المعنى: فسوف يُبصرون العذابَ يومَ القيامة.

﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ كانوا يقولون من فرط تكذيبهم: متى هذا العذاب؛ أي: لا تستعجلوه، فإنه واقعٌ بكم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: العذاب. قال الزجاج<sup>(٨)</sup>: وكان عذاب هؤلاء بالقتل. ومعنى «بِسَاحَتِهِمْ» أي: بدارهم؛ عن السُّدِّي<sup>(٩)</sup> وغيره. والساحة

(١) زاد المسير ٩٣/٧.

(٢) النكت والعيون ٧٣/٥، وما بين حاضرتين منه.

(٣) في إعراب القرآن للنحاس ٤٤٧/٣ (والكلام منه): الكسائي.

(٤) في معاني القرآن ٣١٦/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٤٨/٣، وقول قتادة الذي قبله منه، وأخرجه الطبري ٦٥٨/١٩.

(٥) النكت والعيون ٧٣/٥ بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري ٦٥٩/١٩.

(٧) كذا في النسخ، وليس في الآيات لفظ «وعسى».

(٨) في معاني القرآن ٣١٧/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٤٨/٣.

(٩) أخرجه الطبري ٦٦٠/١٩.

وَالسَّحْسَةَ فِي اللِّغَةِ: فِئَاءُ الدَّارِ الوَاسِعِ<sup>(١)</sup>. الْفَرَاءُ<sup>(٢)</sup>: «نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ» وَنَزَلَ بِهِمْ سِوَاءَ. ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ أَي: بِئْسَ صَبَاحُ الَّذِينَ أَنْذَرُوا بِالْعَذَابِ. وَفِيهِ إِضْمَارٌ، أَي: فَسَاءَ الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ<sup>(٣)</sup>. وَخُصَّ الصَّبَاحُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْعَذَابَ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ. وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، وَكَانُوا خَارِجِينَ إِلَى مَزَارِعِهِمْ وَمَعَهُمُ الْمَسَاحِيُّ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، وَرَجَعُوا إِلَى حِضْنِهِمْ؛ فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ»<sup>(٤)</sup>. وَهُوَ يُبَيِّنُ مَعْنَى ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ.

﴿وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ كَرَّرَ تَأْكِيدًا، وَكَذَا ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تَأْكِيدٌ أَيْضًا

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

فِي أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ نَزَّهَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَمَّا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ عَلَى الْبَدَلِ. وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى الْمَدْحِ، وَالرَّفْعُ بِمَعْنَى: هُوَ رَبُّ الْعِزَّةِ<sup>(٥)</sup>.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَي: مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ. وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَى «سُبْحَانَ اللَّهِ» فَقَالَ: «هُوَ تَنْزِيهُهُ اللَّهُ عَنِ كُلِّ سُوءٍ» وَقَدْ مَضَى فِي «الْبَقْرَةِ» مُسْتَوْفَى<sup>(٦)</sup>.

(١) العين ١٦/٣ .

(٢) معاني القرآن ٣٩٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٧٠/٦ .

(٤) أخرجه أحمد (١١٩٩٢)، والبخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥) (٨٤) و(٨٧) مطولاً. والخميس: الجيش، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ مَقْسُومٌ بِخَمْسَةِ أَقْسَامٍ: الْمَقْدَمَةُ، وَالسَّاقَةُ، وَالْمَيْمَنَةُ، وَالْمَيْسِرَةُ، وَالْقَلْبُ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ تَخْمَسُ فِيهِ الْغَنَائِمُ. النِّهَايَةُ (خمس).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٤٨/٣ .

(٦) ٤١٢/١ ، وهو حديث ضعيف.

الثانية: سُئِلَ محمد بن سُحنون عن معنى «رَبِّ العِزَّة» لِمَ جاز ذلك، والعِزَّة من صِفات الذات، ولا يقال: رَبُّ القُدرة ونحوها من صفات ذاته جلَّ وعزَّ؟ فقال: العِزَّة تكون صفة ذاتٍ وصفةً فِعْل، فَصِفَةُ الذات نحو قوله: ﴿فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: ١٠] وصفةُ الفِعْل نحو قوله: ﴿رَبِّ العِزَّة﴾ والمعنى: رَبِّ العِزَّة التي يتعازُّ بها الخَلق فيما بينهم، فهي من خَلق الله عز وجل. قال: وقد جاء في التفسير: إِنَّ العِزَّة هاهنا يُراد بها الملائكة .

قال: وقال بعض علمائنا<sup>(١)</sup>: مَنْ حلف بعِزَّة الله، فإنَّ أَراد عِزَّتَه التي هي صِفَتُه فَحَنَيْتَ فعليه الكَفَّارة، وإنَّ أَراد التي جعلها اللهُ بين عبادِه فلا كَفَّارة عليه .  
الماوردي<sup>(٢)</sup>: «رَبِّ العِزَّة» يَحْتَمِلُ وجهين: أحدهما: مالك العِزَّة، والثاني: رَبُّ كلِّ شيء مُتَعَزِّزٌ من مَلِكٍ أو مُتَجَبِّرٌ.  
قلت: وعلى الوجهين فلا كَفَّارة إذا نواها الحالفُ.

الثالثة: رُوِيَ من حديث أبي سعيد الخُدري أن رسولَ الله ﷺ كان يقول قبل أن يُسَلَّمَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّة﴾ إلى آخر السورة<sup>(٣)</sup>؛ ذكره الثعلبي.

قلت: قرأتُ على الشيخ الإمام المُحدِّث الحافظ أبي عليِّ الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قُبالة المنصورة من الديار المصرية، قال: أخبرتنا الحُرَّة أُمُّ المؤيَّد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشَّعري بنيسابور في المرة الأولى، أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر القارئ، قال: حدَّثنا أبو الحسن عبد القادر بن محمد الفارسي، قال: حدَّثنا أبو سهل بِشْرُ بن أحمد الإسفراييني، قال: حدَّثنا أبو سليمان داوُد بن الحسين البيهقي، قال: حدَّثنا أبو زكريا يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري، قال: حدَّثنا هُشَيْم،

(١) هو محمد بن سحنون كما في المحرر الوجيز ٤/٤٩٠ .

(٢) في النكت والعيون ٥/٧٤ .

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١١٩)، والخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق

عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخُدري قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ غيرَ مرة ولا مرتين يقول في آخر صلواته أو حين ينصرف: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

قال الماوردي: روى الشعبي قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُقِلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»<sup>(١)</sup>. ذكره الثعلبي من حديث عليّ ؑ مرفوعاً<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد والرسالة .

وقال أنسٌ: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: معنى «وسلامٌ على المرسلين» أي: أمّن لهم من الله جلّ وعزّ يومَ الفَرَع الأكبر.

«والحمد لله ربّ العالمين» أي: على إرسال المرسلين مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ. وقيل: أي: على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين<sup>(٤)</sup>، وقيل: أي: على هلاك المشركين<sup>(٥)</sup>؛ دليله: ﴿فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]. قلت: والكلُّ مُراد، والحمدُ يُعْم. ومعنى «يَصِفُونَ» يكذبون، والتقدير: عما يَصِفُونَ من الكذب. تمّ تفسيرُ «الصافات».

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٣٤/١٠، وهو مرسل.

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره ٤٦/٤ من طريق الثعلبي عن عليّ ؑ مرفوعاً.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٩٢)، وأخرجه الطبري ٦٦١/١٩ عن قتادة مرسلأ.

(٤) النكت والعيون ٧٤/٥.

(٥) زاد المسير ٩٥/٧.